# فكر الاعتـــزال فى كشَّاف الزمخشري بين ضوابط الفهم وشطحات الوهم- قراءة جديدة

**The thought of alaietizal in Zamakhshari Kshshaf between the controls of understanding and the delusions - a new reading**

## إعداد

د.حمدي على بدوي أحمد
كلية الآداب – جامعة سوهاج

Doi: 10.21608/mdad.2021.167736
الاستلام: ١٦/ ٢/ ٢٠٢١م القبول : ٢٣ / ٢ /٢٠٢١م

**المستخلص :**
يُعنى هذا البحث بالوقوف على أثر العقيدة في الفكر وفهم المعاني ، كما يتوغل في ظهور الفكر المعتزلي، وموقع الزمخشري منه، وضوابط الفهم فى فكر الاعتزال كما تتجلى فى كشافه، وقد آثر الباحث متابعة بعض صور شطحات الوهم فى ذلك السفر التفسيري المهم .
**الكلمات المفتاحية:** مؤلف النص ، القوالب اللغوية ، التأويل المحمود و التأويل المذموم، انضباط الفهم ، الشطحات .

**Abstract:**
This research is concerned with determining the effect of belief on thought and understanding the meanings, as it penetrates into the emergence of Mu'tazili thought, the position of Zamakhshari from it, and the controls of understanding in the thought of retirement as reflected in his scouts, and the researcher has preferred to follow some pictures of delusions in that important expository book.
**Key words:** the author of the text, the linguistic templates, the praised interpretation and the blameworthy interpretation, the discipline of understanding, the shatters.

**المقدمـــــة :**

هذا البحث ليس معنيًّا بتفنيد آراء الزمخشري الاعتزالية ، فقد تصدى لذلك ثلة من العلماء ، كـ: ابن المنير والأشعري وغيرهم ، إنما هو يسلط الضوء على آلية الزمخشري الخاصة فى فهم النص القرآني ، وقدرته على استجلاب معاني تارة تكون مضبوطة فى فهمها، وأخري قد توصف بالشطحات ، التي تقارب الوهم. [١]

تقوم آلية الزمخشري فى فهم النص القرآني على ما يسمى : النموذج التحويلي ؛ الذى يقوم على تحليل البنية السطحية على ضوء ما لدى المتكلم والمستمع من بنية عميقة .

اتِّساع البحث في استقصاء تفاصيل هذا الموضوع ، حتى إن بحثًا كهذا لا يستوعبه

إن فكر الاعتزال فكر كلامي يهدف إلى إظهار جماليات القرآن الكريم وفق أصوله الخمسة التي يؤمن بها ، و يرد على المعاندين .

انطلق الزمخشري[٢] فى تفسيره من قاعدة تؤمن بأن للمكون الدلالي دورًا حاسمًا فى تفسير التركيب الظاهر. وأن الأمر قد تجاوز التركيب الفنولوجي و المورفولجي للجمل ، وآمن بأن كشافه كتاب صريح في الاعتزال ، وهو متعصب لذلك مجاهر به . [٣]

إن صاحب الكشاف قد خالف مذهب المعتزلة في بعض المواضع ، كإثباته عذاب القبر ، يقول معلِّقًا على قوله – تعالي : " وإنَّما توفوْن أجوركم ".[٤] : فإن قلت : كيف اتَّصل به [٥] قوله : " وإنَّما توفوْن أجوركم " .[٦] ؟. قلتُ : اتصاله به على أن كلكم تموتون ، ولابد لكم من الموت ، ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عُقيب موتكم ، وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور، فإن قلت : فهذا يوهم نفي ما يروى : إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . قلتُ : كلمة التوفية تزيل هذا الوهم ، لأن المعنى

---

[١] انظر : المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري ( في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير) (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ) ( عرض و نقد ) ، تأليف : صالح بن غرم الله الغامدى ، (ط ١) ، دار الأندلس للنشر ، حائل ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨هـ ، ج١ : ٣٩

[٢] انظر : مفهوم العقل فى الفكر الفلسفى ، د : إبراهيم مصطفى إبراهيم ، (د . ط) دار النهضة للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٣م : ٨٣

[٣] انظر : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، للمقدسي ، ( د . ط ) ، مطبعة بريل ، ١٩٠٩م : ٤١٢

[٤] سورة آل عمران : ١٨٥

[٥] إشارة إلى قوله – تعالي : " كلُّ نفسٍ ذائقة الموت " . سورة آل عمران : ١٨٥

[٦] سورة آل عمران : ١٨٥

أن توفية الأجور وتكميلها يكون ذلك اليوم . [٧]
إن للعقيدة[٨] التي يؤمن بها الفرد أثرًا فى سلوكه وتفسيراته.[٩] ولقد عرف الإسلام ظهور الكثير من الفرق ، التي تختلف في مرجعيتها وتوجهاتها ، وواقعها ، وأثرها في تفسير الأصول الإسلامية ، واختلافها حولها.[١٠]
كان مما أسهم في نشأة المعتزلة أمران [١١]، هما : الاختلاف حول الإمامة الكُبري . ونقص الوازع الديني.[١٢]
درس المعتزلة النصوص التي تُعارض[١٣]معتقداتهم دراسة عميقة[١٤] ومستفيضة، وأخضعوا قوالبها اللغوية والدلالية للعقل[١٥] ؛ فوجب الرجوع إلى ما يقتضيه العقل فى كل أمر.[١٦]
لجأ الزمخشري – حتى يوافق مذهبه – إلى المجاز[١٧] والتمثيل [١٨] فى الكثير من

---

[٧] الكشاف ، لجار الله الزمخشري، شرح و ضبط و مراجعة : يوسف الحمادي ، (ط١) مكتبة مصر، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ، ، ١ : ٤٠٨
[٨] انظر : الكشاف ، للزمخشري ، شرح و ضبط و مراجعة : يوسف الحمادي ، ( ط١) مكتبة مصر، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م ،١، ١٨ ، و انظره : ٢ : ٢٥٤
[٩] الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري ، د : فاضل صالح السامرائي ، ( د . ط ) ، دار النذير ، و مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م : ٢٠٩
[١٠] الفصل في الملل والأهواء و النحل ، لابن حزم الأندلسى ، تحقيق : محمد إبراهيم نصر، و عبد الرحمن عميرة ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ( د . ت ) ، ١ : ٤٨
[١١] البحر المحيط ،لأبي حيان الأندلسي ، دراسة و تحقيق و تعليق : عادل أحمد عبد الموجود و آخرين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م ،١ : ٩٦
[١٢] البلاغة تطور و تاريخ ، د : شوقى ضيف ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٩م: ٢٢٠
[١٣] مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د : على عبد الواحد وافى ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤هـ ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م.: ٤٢٩
[١٤] انظر: علم الكلام ومدارسه ،د: فيصل عون، ط١، الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٨م: ٢٤٥
[١٥] انظر : تأويل القرآن عند المعتزلة من خلال تفسير الكشاف للزمخشري ، إعداد الطالب : خالد سوماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجزائر ، (د . ت) : ٦ نسخة pdf
[١٦] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات البلاغية، د: محمد حسين أبو موسي ، (د . ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م : ٧١
[١٧١٧] النحو العربي والدرس الحديث ، تأليف ، د: عبده الراجحي ، (د . ط)، بيروت ، ١٩٨٦م : ١٢٣
[١٨] المغني في أبواب التوحيد و العدل ، لقاضى القضاة ، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ، ط١ ، دار الثقافة و الإرشاد ، ١٣٨٠هـ / ١٩٨٧م : ١٢-١٨

تفسيراته. [١٩]

**ضوابط فهم معاني النص القرآني عند الزمخشري :**

كان الزمخشري يهدف في جهوده إلى أمور ، منها :

هو الهدف المركزي ، وهو كشف بلاغة القرآن وتأكيد إعجازه ، وإثبات تميزه في التعبير على كل نصّ أرضي وسماوى .

الهدف الهامشي في دعم الفكر المعتزلي القائل باتساع المجاز في القرآن وعند العرب بمنظور كلامى .

ما يُحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى [٢٠] الذى يريده المتكلم ؛ لإيصاله إلى ذهن السامع. [٢١]

تحقيق البعد الجمالي فى فهم النصوص ، وهو: علم القائم على الحس السليم ، والذوق الرفيع ، الذى يُرشد إلى ما تحمله النصوص من دلالات و قصود . [٢٢]

أن تقوم تفسيراته على علمٍ ينفذ إلى النفس ، ويستجلى حالها ، إدراكًا و فهمًا ، ويتتبع قدرة التراكيب الكلامية على تحقيق الإفادة ؛ بتضافر الدوال و مدلولاتها ؛ مع بعدها عن الخطأ ، و مطابقة هذه المعاني لأحوال اللفظ في قدرته على التعبير – بدقة – عن تمام المعني ، و تصوير القصد ، وذكر التفاصيل ، التي يحملها المعني ، و يرومها المؤلف .

أقام الزمخشري منهجه على استنباط الدلالة من كلِّ مكونات النصِّ ، وجعله منهجًا مؤسَّسًا على عقيدة الاعتزال . مستثمرًا القرائن في توجيه المقصود .

**المحور الثاني: فكر الاعتزال فى كشاف الزمخشري وفق ضوابط الفهم :**

**(١) أثر قضية التوحيـــد :**

يقوم هذا الأصل على توحيد الله – تعالي – و تنزيهه عن أن يشاركه إله آخر ، لذا فقد نفوا أن يكون لله – تعالي – صفات غير ذاته ، لأن ذلك يقتضى القول – حسب رأيهم – بالتعدد ، لذا فقد خالفوا العقيدة القائلة بقدم القرآن ، فقالوا بخلقه ، و أوَّلوا الآيات التي يفيد ظاهرها بأن الله – تعالي – يتجسد يوم القيامة ، و نفوا الرؤية نفي استحالة ، و حكموا

---

[١٩] انظر : المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، د : رمضان عبد التواب ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م : ١٩٠

[٢٠] انظر : البيان فى روائع غريب القرآن ، د : تمام حسان ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م : ٧ : ١٣٥

[٢١] جواهر البلاغة فى المعاني و البيان و البديع ، تأليف : السيد أحمد الهاشمى ، ضبط و تدقيق و توثيق د : يوسف الصميلى ، ط١ ، الكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ( د . ت ) : ١٦

[٢٢] ينظر : أساس البلاغة ، للزمخشرى ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ( د . ت ) . و مكتبة الشعب ، مصر ، ( د . ت ) . ٢: ٢٨٤ ، مادة : ( نظم ) .

بكفر من يقول بها ".[٢٣] فيفسر الجذور المعجمية لمعتقده الاعتزالى، انظر إليه يفسر كلمة العهد بالأمر ، ليمنح المفردات معانى أرحب ، ودلالات متعددة ،لا تصطدم بالأصول الثابتة في النصوص الإسلامية ،كما في قوله – تعالي: "الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ".[٢٤] نراه يتعرض للمعنى المعجمى لكلمة العهد ، فيقول : العهد : الموثقُ ، وعهد إليه في كذا : إذا ما وصَّاه به ، ووثقه عليه، واستعهد منه : إذا اشترط عليه ، واستوثق منه . فإن قلت : فما المراد بعهد الله ؟ . قلتُ : ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد ، كأنه أمرٌ وصَّاهم به ، ووثقه عليهم .[٢٥] ومن ذلك جعله الفعل (دعا) بمعنى : سمَّى ، في قوله – تعالي : " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحُسنى ".[٢٦] يقول : " والدعاء بمعنى التسمية ، لا بمعنى النداء ، وهو يتعدى لمفعولين، تقول : دعوته زيدًا ، ثم يُترك أحدهما استغناء عنه، فيُقال : دعوت زيدًا، والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى، أو للتخيير ، فمعنى (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن): سموا بهذا الاسم أو بهذا، واذكروا إما هذا وإما هذا، والتنوين في (أيًّا) عوض من المضاف إليه ".[٢٧] بل إنه يوجِّه القراءات وفق معتقده ، ويسوقه اعتقاده بالتوحيد إلى قصر الإسلام على معنيى التوحيد و العدل ، وأن الإسلام الذى يريد الله – تعالي – لعباده ؛ هو الإسلام القائم على التوحيد والعدل ، كما في قوله – تعالي : " شهد الله أنه لا إله إلَّا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلَّا هو العزيز الحكيم ".[٢٨] انظر إليه يقول : " فإن قلت : ما المراد بأولى العلم ، الذين عظمهم هذا التعظيم ، حيث جمعهم معه و مع الملائكة في الشهادة على وحدانيته و عدله ؟. قلت : هم الذين يُثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة و البراهين القاطعة ، و قرئ ( أنه ) بالفتح ، ( إن الدين ) [٢٩] بالكسر على أن الفعل واقعٌ على أنه بمعني : شهد الله على أنه أو بأنه، وقوله : " إن الدين عند الله الإسلام ".[٣٠] جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولي ، فإن قلت : ما فائدة هذا التوكيد ؟ قلتُ : فائدته أن قوله : لا إله إلا هو . توحيد ، و قوله : قائمًا بالقسط . تعديل ، فإن أردفه قوله : إن الدين عند الله الإسلام . فقد أذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد ،

---

[٢٣] انظر : الفرق بين الفرق ، للإمام عبد القاهر بن طاهر الإسفراييني ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، ( د . ط ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ( د . ت ) : ٩٤

[٢٤] سورة البقرة : ٢٧

[٢٥] انظر : الكشاف ١ : ١٢٥

[٢٦] سورة الإسراء : ١١٠

[٢٧] الكشاف ، ٢ : ٥١٥

[٢٨] سورة آل عمران : ١٨

[٢٩] سورة آل عمران : ١٩

[٣٠] سورة آل عمران : ١٩

وهو الدين عند الله ، وما عداه فليس عنده في شيءٍ من الدين ، وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدى إليه ؛ كإجازة الرؤية ، أو ذهب إلى الجبر الذى هو محض الجور ، لم يكن على دين الله الذى هو الإسلام ، وهذا بيّن جليٌّ ".[٣١] و المفهوم من كلام الزمخشري أنه قد جعل معنى الآيات قائم على التخصيص ، إذ قصر أولو العلم على علماء التوحيد و العدل ، و قصر الإسلام على من يتبعون العدل والتوحيد . يدافع الزمخشري عن الذات الإلهية وصفاتها ؛ منزّهًا لها عن كل قبح أو تحييز أو تجسيد ، فوسَّع الشحنات الدلالية للمفردة الواحدة ، مستثمرًا فى كلِّ ذلك طاقات اللغة وطبيعتها وعرفها ، جاء فى الكشاف فى قوله – تعالي: " إلى ربِّك يومئذٍ المستقر".[٣٢] فقد ضمَّن الزمخشري كلمة (المستقر) العديد من الدلالات ، جميعها لا يُخالف طبيعة اللغة؛ لكنها اللغة غير المحدودة ، فجعلها تارة بمعنى الاستقرار، فحلت محل مصدرها ، وجعلها أخرى بمعنى الموضع ، فصارت اسم مكان ،وثالثة بمعنى : زمن الاستقرار، فصارت : اسم زمان . فقال : "(يومئذٍ) مستقر العباد ، أى : استقرارهم ، يعنى أنهم لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره ، وينصبوا إليه؛ أو إلى حكمه ترجع أمور العباد ،لا يحكم فيها غيره ، أوإلى ربك مستقرهم ، أى : موضع قرارهم من جنة أو نار ، أى : مفوض ذلك إلى مشيئته ؛ من شاء أدخله الجنة ، ومن شاء أدخله النار .[٣٣]

*** <u>صفات الذات الإلهية :</u>**

يُنكر المعتزلة وقوع الصفات القديمة على الله – سبحانه و تعالي – مثل صفة الاستحياء ، أو التكليم ، أو السمع ، أو البصر ، معتقدين أن ذلك من ثوابت التوحيد والعدل ، والتنزيه عن التعدد ، لذا يؤولون كلَّ ما خالف ذلك الأصل الثابت عندهم ، مستثمرًا – بذلك – آلية التوسع في اللغة. وقد راعي الزمخشري معيار الكفاءة اللغوية عند كل من المتكلم والمستمع ، مؤكدًا أنها : تعنى المعرفة الضمنية بقواعد اللغة ، وقدرة المتكلم والمستمع على الجمع بين الأصوات اللغوية والمعاني في تناسق مع لغته.([٣٤]) ومن ذلك ما أشار إليه الزمخشري في تعليقه على قوله – تعالي: " قل هو الله أحدٌ ".[٣٥] إذ تؤمن المعتزلة بنفي المشابهة والتجسيم لله – تعالي – فيبسط الزمخشري دلالات الآية السابقة ، ويشير بوجود أنساق دلالية صغرى تشكِّل نسقًا دلاليًّا متكاملًا ؛ كل نسق يؤكِّد سابقه ، مستخدمًا أسلوب الحجاج والتفاوض المنطقى ، يقول :" سألوه أن يصفه لهم ،

---

[٣١] الكشاف ١ : ٣١٨

[٣٢] سورة القيامة : ١٢

[٣٣] الكشاف ، ٤ : ٥٦٣ ـ ٥٦٤

[٣٤] انظر : علم اللغة نشأته و تطوره ، تأليف ، د : محمود جاد الرب ، ( د . ط ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م : ١٨٠

[٣٥] سورة الإخلاص : ١

فأوحي إليه ما يحتوى على صفاته ، فقوله : هو الله . إشارة لهم إلى من خالق الأشياء و فاطرها ؛ وفي طيّ ذلك وصفه بأنه قادر عالم ، لأن الخلق يستدعى القدرة و العلم ؛ لكونه واقعًا في غاية إحكام واتساقٍ وانتظامٍ ، وفي ذلك وصفه بأنه حيٌّ سميعٌ . وقوله : (أحدٌ) وصف بالوحدانية ونفي الشركاء ، وقوله : الصمد . وصفٌ بأنه ليس إلَّا مُحتاجًا إليه ، وإذا لم يكن إلَّا مُحتاجًا إليه فهو غنيٌّ ، وفي كونه غنيًّا مع كونه عالمًا أنه عدلٌ غير فاعل للقبائح لعلمه بقُبح القبيح ، وعلمه بغناه عنه، وقوله: (لم يولد) وصفٌ بالقدم والأولية، وقوله :(لم يلد) نفي للشبه والمجانسة، وقوله:(ولم يكن له كفوًا أحدٌ).[٣٦] تقرير لذلك ، وبتٌّ للحكم به.[٣٧]

ومن أصولهم: القول بالتَّولُّد : وقد عبَّروا عنه، بقولهم : خلق الفعلَ فاعلٌ . وقد استشهد الزمخشري له بقوله – تعالي : " ذهب الله بنورهم ".[٣٨] يقول : " فإن قلت : ما معني إسناد الفعل إلى الله في قوله – تعالي : " ذهب الله بنورهم ".[٣٩]؟. قلتُ : إذا طُفئت النار بسبب سماوي ؛ ريح أو مطر ؛ فقد أطفأها الله – تعالي – وذهب بنور المستوقد ، ووجه آخر : وهو أن يكون المستوقِد مستوقِدَ نار لا يرضاها الله".[٤٠] فهم يذهبون أن الله – تعالي– هو من أطفأ النار ، ويسمون ذلك : فعل فاعل السبب . ولو طُفئت النار بصب بعض الخلق عليها ماءً أو ترابًا ؛ لم ينسب المعتزلة ذلك إلى الله – تعالي – بل للعباد ؛ لأن العبد إذ ذاك فعل السبب ، وهو الحركات التي في محله ، والاعتمادات التي تحرك الماء متولدًا من ذلك ، وكل ذلك باطل ، وهو شركٌ في الحقيقة ، ولا فاعل لشيء من المخلوقات ؛ كأن من سببٍ أولًا عن شيء إلا الله – تعالي – على ما تقررت دلايله ".[٤١] وهذا التأويل البلاغي خارج على طريقة المجاز المُرشَّح ؛ لأن ذكر النور أبلغ ، لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة ، فلو قيل : ذهب الله بضوئهم ؛ لأوهم الذهاب بالزيادة ، وبقاء ما يسمى: نورًا ، والغرض إزالة النور عنهم رأسًا ، وطمسه أصلًا".[٤٢] ومن أصولهم المعتبرة ، القول بتثنية الأمثال . وهو أصل اتخذوه ملاذًا عقديًّا لغويًّا ليعبروا فيه عن حال أنفسهم ؛ أو يستبينوا من خلاله حال المعاندين، الرافضين لمذهبهم، والطاعنين في عقيدتهم، وهو باب من ذكر الأشياء بأشياء مقاربة للمعني ، ليكشف حال المعاندين ، ويوضح طويتهم ، وذكر أنه باب من الإطناب متسعٌ ؛ وساق منه الزمخشري قوله –

---

[٣٦] سورة الإخلاص : ٥
[٣٧] الكشاف ٤ : ٧٠٤
[٣٨] سورة البقرة : ١٧
[٣٩] سورة البقرة : ١٧
[٤٠] الكشاف ١ : ٨٥
[٤١] انظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٦٥
[٤٢] الكشاف ١ : ٨٥

تعالي : " أو كصيّبٍ من السماء ".[٤٣] والمعنى : أو كمثل ذوي صيّبٍ . وهو: المطر المنْصبُّ ، والمراد : كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة، فلقوا منها ما لقوا. وهو دليلٌ على تسجيل واقع المعاندين، فهم لا يعودون إلى الهدى؛ بعد أن باعوه، أوعن الضلالة بعد أن اشتروها، وقد ذكر– تعالي – هذا التمثيل ؛ ليكون معضّدًا لما قبله ، وكشفًا لحالهم بعد كشف ، وإيضاحًا غب إيضاح ، وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يُجمل ويُوجزَ؛ فكذلك الواجب عليه – في موارد التفصيل والإشباع – أن يُفصِّلَ ويُشبعّ ".[٤٤]

- **تجنب التناقض في المعاني :**

وجد الزمخشري أن تجاور القوالب اللغوية قد يطرح معنى يُخالف مذهبه ، فتأول ذلك ، حدبًا على أشياعه من الاختلاط و التناقض، كما في قوله – تعالي:" ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلَّا بما شاء".[٤٥] فقد أوَّل قوله : (من علمه) . من معلوماته، ويصبح المعنى وفق مذهبه : لا يحيطون بشيءٍ من معلوماته إلَّا بما شاء ، لأن المعلومات مما يُباح فيه التجزئة ، يُستفاد من وجود سابقة الجر من، والدالة على التبعيض ، لأن علم الله عند المعتزلة كلى ، وعلمه لا يتجزأ ولا ينفصل عنه.[٤٦] ومثل ذلك استثماره لأبعاد الحذف وجواز أن تنوب (ال) عن المضاف إليه المحذوف [٤٧] و كذلك القول بوقوع المجاز حفاظًا على اعتزاله ، فذهب إلى أن الاسم يختلف عن المسمي ، لا كما يقول أهل السنة بأن الاسم هو المسمى ، كما في قوله – تعالي: " وعلَّم آدم الأسماء كلَّها ".[٤٨] يقول : و(الأسماء كلها) أى : أسماء المسميات ، فحذف المضاف إليه ، لكونه معلومًا مدلولًا عليه ، بذكر الأسماء ؛ لأن الاسم لابد له من مسمى ، وعُوّض منه اللام " .[٤٩] وهو بذلك يستخدم قواعد العربية في الإقرار بأن الله – تعالي – لم يعلِّم آدم – عليه السلام – مسميات الأشياء ذوات لا تُعلَّم. وهو ما أقر به تشومسكى من أن يكون للتفسير الدلالي للمفردات والجمل والتراكيب نفس القيمة للتحليل النحوي ، فى إشارة لمفهوم أصولية الجملة ، ومفهوم مقبولية الجملة ، وكذلك إدراك المعجم الخاص بقوم ما ضمن ضوابط

---

[٤٣] سورة البقرة : ١٩
[٤٤] الكشاف ١ : ٨٨ ، وانظر : التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز : ١١٦
[٤٥] سورة البقرة : ٢٥٥
[٤٦] الكشاف ١ : ٢٨٤
[٤٧] جمهور النحاة على أن التعويض بـ : (ال) إنما يكون المعوض عنه المضاف إليه ضمير .
[٤٨] سورة البقرة : ٣١
[٤٩] الكشاف ، ١ : ١٣٠

الفهم والتفسير.[٥٠]يقول : " فإن قلت : هلَّا زعمت أنه حذف المضاف ، وأُقيم المضاف إليه مقامه ، وأن الأصل : وعلَّم آدم مسميات الأسماء ؟. قلتُ : لأن التعليم وجب تعلقه بالأسماء لا بالمسميات ، لقوله : (أنبئوني بأسماء هؤلاء) و(أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم) ؛ فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ؛ و لم يقل : أنبئونى بهؤلاء ، وأنبئهم بهم ؛ وجب تعليق التعليم بها ، فإن قلت : ما معنى تعليمه أسماء المسميات ؟. قلتُ : أراه الأجناس التي خلقها ، وعلَّمه أن هذا اسمه فرس ، وهذا اسمه بعير ، وهذا اسمه كذا ، وهذا اسمه كذا ، وعلمه أحوالها ".[٥١] ويدلل على ما ذهب إليه بأن أوَّل كلمة عرضهم على أن الضمير فيها عائد على المسميات ، أى : عرض المسميات ، وإنما ذكِّر ؛ لأن في المسميات العقلاء ، فغلَّبهم .[٥٢] ونرى الكثير من الفهم المنضبط فى تفسيرات الزمخشري ، حتى إن المتأمل لهذه التفسيرات قد يتهم الزمخشري بالتناقض ومخالفة أصوله ، كما فى قوله – تعالي : " فأينما تُولُّوا فثَمَّ وجهُ الله ".[٥٣] يذهب ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) إلى أن المقصود بوجه الله – تعالي – هو الله – عزَّ و جلَّ – ويكون المقصود : فثم الله – تعالي- بعلمه و قبوله لمن توجه إليه ".[٥٤] فى حين نجد أن الزمخشري يفسّر وجه الله – تعالي – بأنه جهته التى أمر بها ورضيها ؛ والمعنى أنكم إذا مُنعتم أن تُصلُّوا في المسجد الحرام ، وفي بيت المقدس ؛ فقد جُعلت لكم الأرض مسجدًا ،فصلُّوا فى أيّ بقعة شئتُم من بقاعها ، وافعلوا التولية فيها ، فإن التولية ممكنة فى كل مكان .[٥٥]

- **<u>توسيع الدلالات ( الانفتاح الدلالى ) :</u>**

نلفي الزمخشري يعتصِر المعاني ، من الأشكال والتراكيب ، قاصدًا المعاني الإضافية لها ؛ معظِّمًا للعادات الكلامية الموصوفة بالخلق والإبداع ، معلنًا عن قدرته الفائقة فى فهم معاني النصوص ، منطلقًا من أصغر الوحدات الكلامية إلى التركيب [٥٦] فوقف عند صور من الإطناب، وهو يحاول أن يدفع القول بأن الله هو فاعل الأفعال السيئة ، فقد عرض لصور من الإطناب ، بالتوضيح بعد الإبهام ، ذلك في قوله تعالى : "إنا هديناه

---

[٥٠] نقلًا عن : من المدارس الألسنية (المدرسة التوليدية التحويلية ، د : إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان ، نسخة PDF : ٢٣

[٥١] الكشاف ، ١ : ١٣١

[٥٢] الكشاف ، ١ : ١٣١

[٥٣] سورة البقرة : ١١٥

[٥٤] الفصل فى الملل و الأهواء و النحل ، ٢ : ٣٤٨

[٥٥] الكشَّاف ، ١ : ١٧٩

[٥٦] انظر : الألسنية التوليدية و التحويلية ( النظرية الألسنية ) ، تأليف : ميشال زكريا ، ( د . ط) ، المؤسسة الجامعة للدراسات و النشر ، بيروت ، ١٩٨٨م : ١٣

السبيل إما شاكرًا وإما كافورا ".[٥٧] فهو يصف الإنسان بالصانع لأفعاله السيئة ، وعلى ذلك وجَّه إعراب قوله - تعالى : شاكرًا ، كافورًا . على أنهما حالان من السبيل المقدرة ، والتقدير : عرفناه السبيل ؛ فيقول : " شاكرًا وكافورًا حالان من الهاء في هديناه، أى : مكَّناه وأقدرناه في حالتيه جميعًا، أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة العقل والسمع ، وكان معلومًا منه أنه يؤمن أويكفر لإلزام الحجة، كقوله :" وهديناه النجدين".[٥٨] ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز.[٥٩] بل إنه يوجِّه القراءات وفق معتقده من إنكار اتصاف الله - تعالى - بالأفعال السيئة ، فالعبد مناط التكليف ، وعقله مناط التحمل للمسئولية ، فإذا ما أتى خيرًا فمن الله - تعالى - وأما حال شره فمنه هو ، ليس لله قدر في ذلك ، يقول : " وقرأ أبو السمأل بفتح الهمزة ، في (أمّا) ، وهى قراءة حسنة ، والمعنى : شاكرًا فبتوفيقنا، وأما كفورًا فبسوء اختياره . فهو يشير بذلك إلى حذف المسند ، وجاز حذفه لقيام قرينة ، تلك القرينة هى قرينة تمام المعنى ، و جاز هذا الحذف لعلم المتلقي به .[٦٠] ومن المعلوم أن من أصول المعتزلة أن مرتكب الكبيرة مخلَّدٌ في النار ، إذا مات بلا توبة، فلجئوا إلى توسيع الدلالة بأن أوَّلوا الآيات التي يُخالف ظاهرها معتقدهم ، فلو نظرنا إلى الظاهر في قوله – تعالي : " و إن ربَّك لذو مغفرة للناس على ظُلمهم ".[٦١] لوجدناه يُشير إلى عموم المغفرة للناس من لدن خالقهم ، في حال كونهم ظالمين ، كما يُشير الظاهر إلى عدم جواز الحكم بخلود مرتكب الكبيرة في النار ، إذا مات بلا توبة ، طمعًا في غفران الله ، الذى شمل صنوف الناس . فيجعل الزمخشري لمعنى المغفرة أبوابًا أخري ، تدور جميعها حول جواز المغفرة في الحياة الدنيا ، يقول :" و فيه أوجه : أن يريد السيئات المكفِّرة لمجتنب الكبائر ، أو الكبائر بشرط التوبة ، أو يريد بالمغفرة الستر و الإمهال ".[٦٢] ومع إصرار الزمخشري على نشر مذهبه الاعتزالى ، ولاسيما القول بخلود مرتكب الكبيرة في النار، ما لم يتُب في حياته قبل الموت ، مثل المسلم القاتل غير التائب ، في قوله – تعالي: " ومن قتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذابًا عظيمًا ".[٦٣] فقد فسَّر الزمخشري معنى الجزاء القائل بخلود أصحاب الكبائر في النار ، إذا أدركهم الموت من دون توبة ؛ محاولًا كشف المعاني الغامضة التي لا يُشير إليها الظاهر ، بل يقويها الغوص في بواطن الألفاظ ،

---

[٥٧] سورة الإنسان : ٣
[٥٨] سورة البلد : ١٠
[٥٩] الكشاف ٤ : ٥٦٩
[٦٠] الكشاف ٤ : ٥٦٩
[٦١] سورة الرعد : ٦
[٦٢] الكشاف ٢ : ٣٦١
[٦٣] سورة النساء : ٩٣

وسياقات التراكيب ، فتحمل الآيات أبعادًا نفسية متعددة ، و يؤكد تلك المعاني بالعديد من الأحاديث ، إيرادًا للمعانى المختلفة التي تقدح في القاتل ، و تغلظ تشنيعه . وبدا إدراك الزمخشري لتلك الأساليب التي تُشير إلى التعميم في الدلالة ، وتؤكِّد قوالبها اللغوية إطلاق الدلالة فيها ، وقرر أن هذا المعنى يُستفاد من أسلوب الشرط ، الذى يدل على الإطلاق و العموم في المعنى ، وقد أشار إلى بعض من هذه المعاني ، من مثل قوله : هذه الآية فيها من التهديد و الإيعاد و الإبراق و الإرعاد أمر عظيمٌ ، و خطب غليظ ، ثم يورد أراء العلماء التي تشنع بالقتلة ، و استأنس بقول العلماء بأن القاتل لا توبة له ، و إلَّا فكل ذنب ممحوٌّ بالتوبة ، و ناهيك بمحو الشرك دليلًا . يقول : والعجب على قوم يقرءون الآية ويرون ما فيها ، ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة ، وقول ابن عباس بمنع التوبة، ثم لا تدعُهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم ، وما يُخيل إليهم مناهم أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة.[٦٤] فإن قلت : هل فيها دليلٌ على خلود من لم يتُب من أهل الكبائر ؟. قلتُ : ما أبين الدليل ، وهو تناول قوله : (ومن يقتل) : أىَّ قاتلٍ كان من مسلم أو كافرٍ تائبٍ أو غيرِ تائبٍ ؛ إلَّا أن التائب أخرجه الدليل ، فمن ادَّعى إخراج المسلم غير التائب ، فليأتِ بدليلٍ مثله.[٦٥] ويعرض رأيه في قوله: " لو أن رجلًا قُتل بالمشرق ، وآخر رضى بالمغرب لأُشرك في دمه ".[٦٦]

بدت قصدية التوسيع الدلالية لدى الزمخشري في تناوله للدلالتين المركزية والهامشية لحرف العطف (أو) ، وكأنه يستمد دلالته من التحليل الفنولوجي والمورفولجي للكلمات والتراكيب ، مشيرًا إلى أن فى التراكيب سعة وبعدًا عن التحديد ، فأشار إلى أن هذا الحرف يمتلك طاقات لغوية و دلالية ، وأن له معانى عدة ، فوسَّع في دلالته ، ليراعى أفق التلقى ، فينفي وقوع الشبهة في علم الله – تعالي - لأن تقييد الدلالة بالشك – هنا – يتنافي مع علم الله ، وأن علم الله – تعالي – ليس فيه شك ، كما في قوله – تعالي : " مثلهم كمثل الذى استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم . أو كصيِّبٍ من السماء فيه ظلُمات و رعدٌ و برقٌ".[٦٧] وتسنح الفرصة للزمخشري حين يأتى المعني مبهمًا ، بأن تحمل المفردة ذخيرة من المعاني جميعها يُناقض اعتزاله ، فيُهرع إلى البنى التحويلية ليصل إلى المعنى التحويلى ، ليورد عدة معاني جميعها يخدم اعتزاله.[٦٨] رافضًا القول بأن معنى الكلمات والتراكيب عنصر ثابت ، فى كل استعمال لهما . فقال : " وصف الله المنافقين بسمتين ، جمع بينهما حرف العطف (أو) ، ومن معانى حرف

---

[٦٤] الكشاف ، ١ : ٤٩١

[٦٥] الكشَّاف ١ : ٤٩١

[٦٦] الكشاف ١ : ٤٩١

[٦٧] سورة البقرة : ١٨ ، ١٩

[٦٨] الفكرة مأخوذة من تشومسكى ، انظر : البنى النحوية : ١٣٦

العطف (أو) الشك في إطلاق إحدى السمتين على المنافقين ، ولا يمسُّ الشكُّ علم الله – تعالي – فأشار إلى أن لحرف العطف معانى عدة ، قال : " فإن قلتَ : لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك ؟. قلتُ:(أو) في أصلها لتساوي شيئين فصاعدًا في الشك ، ثم اتَّسع فيها ، فاستعيرت للتساوى في غير شك ، وذلك قولك : جالِس الحسن أو ابن سيرين ، يريد أنهما سيَّان في استصواب أن يُجالَسا ، فالقصتان سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل".[٦٩] وفي كلام الزمخشري توسيع للدلالة المركزية لحرف العطف (أو) فأصبح يُشير إلى الشك ، وإلى التساوى بين الشيئين . لتُصبح دلالتها على الشك (طارئة) هامشية ، ودلالتها على التساوى دلالة مركزية .

ويؤمن الزمخشري بطرد العصاة من رحمة الله ، وأنهم مخلدون فى النار، وأن أهل العدل والتوحيد هم المخصوصون بالقرب والرحمة ، وأنهم هم أهل الله وخاصته ؛ حتى إنه يُجيز حذف قوالب لغوية تخدم معتقده ، عادًّا ذلك الحذف سبب قوة للنص ، ومصدر توسيع للدلالة ؛ ومن ثم يلجأ إليه المؤلف قاصدًا إيراد فيوض دلالية ، يتتبعها المتلقى ، تغمض عليه ، فيلتذ بها ، فيحمل الحذف عدة معانٍ وتقديرات ، فما أمكن تقديره لدى السامع ، وأمكن أن يكون مرادًا فى سياقه ، كان من باب التوسع".[٧٠] وقد أكد الزمخشري أن الحذف يكون بالإيجاز ، أو الاستغناء بالمذكور، و لأجل التخفيف ، فكل متلقٍّ يرى المحذوف من زاوية خاصة و مختلفة ، كما في قوله – تعالي : " ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا قالوا نعم".[٧١] أشار الزمخشري إلى أن فى الآية حذفًا اقتضاه الأصل المعتزلي الفاضل والمفضول ، وهو حذف المفعول به للفعل وعد ، فى الجملة القرآنية الثانية ، (وعد ربُّكم) ؛ إذ لو لم يكن فى الكلام حذفًا لقيل : فهل وجدتكم ما وعدكم ربُّكم حقًّا .

ويضع تساؤلًا يُجسد اعتزاله ، قائلًا : ما سبب هذا الحذف ؟. ويجيب بأن الأول هو حال المؤمنين ، فأتم الخطاب القرآني خطابهم ، فذكر مفعول الفعل وعد ، الذى يعود إليه ، مثلما أتم – سبحانه – نعيمهم ، وهؤلاء هم خاصة المؤمنين ؛ أما الثانى فهو حال العصاة ، فهم فى نقص فى كل شىء ، وهو حديث عام ، يشمل كل البشر ، وهو – بذلك – يُبرز مفارقة بين حال المؤمنين ، وما يتعاطونه من حفاوة و تكريم ، وبين ما يُجابَه به غيرهم من التحقير والإهانة والإذلال ؛ فقد ذكر الخطاب القرآني المفعول به فى الحالة الأولي ، لتحقيق ما وعد الله به من نعيم و تشريفًا للمؤمنين ، وحذفه من الحالة الثانية للتخفيف ، ولدلالة وعدنا عليه ، وفى حذفه إبعاد لأهل الكفر عن ذلك التشريف ، وإخراجهم من

---

[٦٩] انظر : الكشَّاف ، ١ : ٩٠ ، ٩١

[٧٠] انظر : ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوي ، د : طاهر سليمان حمودة ، ( د . ط ) ، الدار الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٩٨م :٩٧

[٧١] سورة الأعراف : ٤٤

دائرة الخطاب ، وقد أشار الزمخشري إلى أن ذلك العدول فى الخطاب فيه سعة فى المعنى وإيحاءٌ دلالي وتعريض .[٧٢] والمتأمل لتفسيرات الزمخشري يرى أنه يعتمد على مجموعة من الخيوط ، منها : خيط اللغة ، و الاعتزال ، و أفق التلقي ، والجدل ، و الإقناع ؛ إذ يرى أن كل تركيب يجب أن يخضع فى تفسيره إلى معيار تحليلى يجمع كل الخيوط السابقة ، وأن يوفر لمتلقيه فهمًا جيدًا و إقناعًا ثابتًا ، منطلقًا من القاعدة اللغوية التي تقرر : إننا لن نستطيع تحليل جملة ما إلا إذا عرضنا مكوناتها على جميع مستويات اللغة ؛ فلا يُمكن فهم ما فى التراكيب من إبهام ، دون اللجوء إلى المعايير التحويلية .

ويؤكد الزمخشري أن الخطاب القرآني ينتخب مفردات مصدرها بيئة لغوية خاصة ، وهو -بذلك- قد سبق البنيويين السلوكيين فى القول بأن امتلاك الإنسان للغة يأتى من خلال تأثره بيئته اللغوية و بدلالات ما يسمعه ؛ و كأن لكل متكلم أو متلقٍ لغة معيارية خاصة ، يُدرك محتواها ، ويعي ما فيها من جدة و دلالة .[٧٣] وقد امتد أثر ذلك البعد المعتزلي إلى تفسير الزمخشري للآية الكريمة ، حيث أشار إلى أن هذا الحذف جاء ليشير إلى أن هناك فريقين للحساب ، الأول : هم أهل التوحيد والعدل ، وأولئك تشملهم رعاية الله و حدبه ، والثاني : عم أهل الكبائر ورواد المعصية ، وقد أحاطهم غضب الله ولعناته ، وقد جاء الحذف ليتناول كل ما وعد الله من البعث و الحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة ، لأنهم – أى :أهل العصيان ،لا أهل التوحيد والعدل – كانوا مكذبين بذلك أجمع ، ولأن الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلَّا عذابٌ لهم .[٧٤]

- **تخصيص الدلالة :**

يقصد بذلك : تقييد الحكم لينطلق المعنى على خاص فأخص ، فقد يكون المعنى عامًّا ، فيدفع مذهب الاعتزال إلى إطلاقه على خاص ، كما في قوله – تعالي : " أن الله لا يغفر أن يُشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاءُ ".[٧٥] غير خافٍ أن المغفرة عامة في حقِّ التائب ، لأن الشرك مغفور بالتوبة ، إلَّا عند المعتزلة الذين يقولون بخلود مرتكب الكبائر في النار ، وليس له توبة. ولما كان هذا معارضًا لما عليه مذهب الاعتزال . ونرى الزمخشري متعمقًا فى فهم النص القرآني بعيدًا عن الشكل الخارجي للمفردات والتراكيب على ضوء من اعتزاله ، فصرف همَّه إلى نقل المعاني من الحقيقة إلى المجاز ، جاعلًا عمله هذا موجًّا نحو تحقيق آلية التواصل بينه وبين بنى مذهبه ؛ وقد جعل الزمخشري

---

[٧٢] انظر : الكشاف ، ٢ : ٢١

[٧٣] انظر : نظرية تشومسكي اللغوية ، جون لوينز ، تعريب : حلمى خليل ، القاهرة ، ١٩٩٥م : ٣١

[٧٤] انظر : الكشاف ٢ : ٢١

[٧٥] سورة النساء : ٤٨

معنى المغفرة مخصصًا بإرادة من يشاء ، يقول : " فلابد أن يقع أحدُ أمرين ، إن لم يؤمنوا ، فإن قلت : قد ثبت أن الله – عزَّ و جلَّ – يغفر الشرك لمن تاب منه ، و أنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلَّا بالتوبة ، فما وجه قوله – تعالي : " أن الله لا يغفر أن يُشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاءُ ".؟. قلتُ : الوجه أن يكون الفعل المنفي و المثبت جميعًا موجهين إلى قوله – تعالي : (لمن يشاء) كأنه قيل : إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك ؛ على أن المراد بالأول : من لم يتُبْ ، وبالثانى : من تاب ، ونظيره قولك : إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء ؛ تريد : لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ، ويبذل القنطار لمن يستأهله.[٧٦] فنري تكثيفًا للعوامل المذهبية الداخلة على التراكيب القرآنية ، وفسَّر الآيات على ضوء ما يحيط بها من ملابسات مذهبية ، تكتنف العلاقات بين الكلمة وغيرها وبين جملة وجملة ؛ فتقود إلى تركيب أعمق، بعيدًا عن الشكل السطحي الظاهري ، متهمًا كلَّ من اعتمد على الظاهر فى فهم النص القرآني.[٧٧] وتقع دلالة التخصيص – أيضًا - في القصر بتقديم ما حقه التأخير ، في مثل قوله- تعالى:" وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ".[٧٨] إذ يرى الطبرسي أن الله - جلَّ شأنه - إنما خصَّهم- المتقين – بالإيقان بالآخرة ، وإن كان الإيمان بالغيب قد شملها، لما كان من كفر المشركين بها ، وجحدهم إياها، في نحو ما حكي عنهم في قوله – تعالى: " وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ".[٧٩] فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم".[٨٠] وجاء في الكشاف:" وفي تقديم (الآخرة) وبناء (يوقنون) على (هم) تعريض بأهل الكتاب ، كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أُنزل إليك وما أُنزِل من قبلك".[٨١] لأن في تقديم الجار والمجرور إشعار بالتخصيص .

كذلك حمله اعتزاله على تخصيص الدلالة فيما يخصَّ مسألة الشفاعة ، فقد أنكرها على العصاة ، وخصَّ بها أهل الطاعة ، والذى دفعه إلى هذا التخصيص إيمانه بأن للعاصى خلودًا في النار ؛ إذا مات بلا توبة ، كما في قوله – تعالي : " أنفقوا ممَّا رزقناكم من قبلِ

---

[٧٦] الكشاف ، ١ : ٤٦٥

[٧٧] انظر : نظرية النحو فى مناهج النظر اللغوي الحديث ، تأليف : نهاد الموسى ، ( د . ط ) ، بيروت ، ١٩٨٠م : ٦٢

[٧٨] سورة البقرة : ٤

[٧٩] سورة المؤمنون : ٣٧

[٨٠] مجمع البيان فى تفسير القرآن ، للطبرسي ، ط١ ، دار العلوم للتحقيق ، بغداد ، ٢٠٠٥م ،١: ٧٥

[٨١] الكشَّاف ، ١ : ٥٦

أن يأتى يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شفاعةٌ ".[٨٢] يُفهم من كلام الزمخشري أنه قيَّد البعد الدلالى لكلمة (شفاعة) بأن خصَّ بها أهل الطاعة ، وحجبها عن العصاة ، يقول : " (من قبل أن يأتى يومٌ) لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق، لأنه (لا بيع فيه) حتى تبتاعوا ما تنفقونه، (ولا خُلَّة) حتى يسامحكم أخلَّاؤكم به ، وإن أردتم أن يُحطَّ عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعًا يشفع لكم في حطِّ الواجبات ، لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير".[٨٣] ليست خاصة في حطِّ الذنوب والمعاصى .

- **تقييد الدلالـــة :**

تنفي المعتزلة وقوع التشبيه أو التحييز ، أو التجسيم لله –تعالي – استنادًا إلى قوله – تعالي : " ليس كمثله شىءٌ في الأرض و لا في السماء ".[٨٤] وتنزيهًا له عن أن يتشبه بشىءٍ من صفات خلقه ، وأن كلَّ ما ورد من آيات التشبيه أو التجسيد وجب تأويله ؛ لأنه على سبيل الكناية ؛ فإذا عُلم أنه من باب الكناية لم يقع فرقٌ بين قوله : ليس كالله شىءٌ . وقوله " ليس كمثله شىءٌ في الأرض ولا في السماء".[٨٥] يقول : " إلَّا ما تُعطيه الكناية من فائدتها ، وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحدٍ ، وهو نفي المماثلة عن ذاته ، ونحوه قوله – تعالي: " بل يداه مبسوطتان ".[٨٦] فإن معناه : بل هو جواد من غير تصور يد، ولا بسط لها، وقعت عبارة عن الجود ،لا يقصدون شيئًا آخر؛ حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له ، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل، ومن ليس له مثل .[٨٧] كما في قوله – تعالي : " هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى على إلى السماء ".[٨٨] ويُقرر النحاة أن دلالة (ثم) تكون على الترتيب والتعقيب مع التراخى والمهلة، والمعنى لا يتحصل ، لما فيه من معنى العطف والتراخى والمهلة ، فينتج لذلك وجود تشبيه وتمثيل لله – تعالي – وأنه - سبحانه وتعالي – قد خلق الأرض ، ثم بعد فترة زمنية خلق السماء ، أى : إن الله محدود بزمن ، وهو غير جائز عند أصحاب الاعتزال . ويتأول الزمخشري ذلك المعنى بأن يقيِّد دلالة حرف العطف (ثم) لا ليشير إلى الزمن ، إنما يُشير على التفاوت في الخلق ، يقول : " فإن قلت : ما فسرت به معنى الاستواء إلى السماء يناقضه (ثم) لإعطائه معنى التراخي والمهلة ! قلتُ : (ثم) – ها هنا – لما بين

---

[٨٢] سورة البقرة : ٢٥٤
[٨٣] الكشاف ١ : ٢٨٣
[٨٤] سورة الشورى : ١١
[٨٥] سورة الشورى : ١١
[٨٦] سورة المائدة : ٦٤
[٨٧] الكشاف ، ٤ : ١٩٠ ، ١٩١
[٨٨] سورة البقرة : ٢٩

الخلقين من التفاوت وفضل خلق السماء على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت ".[٨٩]

- **القصر بالتقديم لتخصيص الدلالـــة :**

من صور القصر التي وقف عندها الزمخشري : صورة القصر بالتقديم قوله - تعالي: " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ".[٩٠] حيث يقول: (إلى ربها ناظرة) تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول ، ألا ترى إلى قوله : " إلى ربك يومئذ المستقر".[٩١] و:" إلى ربك يومئذ المساق".[٩٢] و:"إلى الله تصير الأمور".[٩٣] و:" إلى الله المصير".[٩٤] و:" إليه ترجعون". [٩٥] و: " عليه توكلت وإليه أنيب".[٩٦] كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص.[٩٧] وما يمكن أن نضيفه - هنا - هو أن أصول الاعتزال كانت تكمن وراء صور القصر هذه ، ومن ثم جاءت هذه التراكيب بإيحاءاتها ودلالاتها صورة لما ينبض في أعماقه من حسٍّ ديني عميق . كما يمكن أن نقول: إن هذه الصور تعود - في معظم أشكالها - إلى قصر الصفة على موصوف. وأن الاختصاص أو المقصور عليه يقع في المقدم دائمًا.

وإذا ما مضينا في تصوير أشكال التعبير لديه ؛ فإننا نفاجأ بأمثلة ينزلها منزلة القصر إرضاء لإيمانه الاعتزالي الذي طغى على عمله الفني. فهو يرى أن تقديم المبتدأ يفيد الاختصاص يقول في الآية:" والله يُقدِّر الليل والنهار".[٩٨] ولا يقدر على تقدير: الليل والنهار ، ومعرفته مقادير ساعاتهما إلَّا الله وحده ، وتقديم اسمه - عزَّ وجلَّ - مبتدأ مبنيًّا عليه ؛ يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير. والمعنى: إنكم لا تقدرون عليه" .[٩٩] ويقول في تفسير الآية: "الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم".[١٠٠] وإيقاع اسم الله مبتدأ ، وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ، ورفع منه ، واستشهاد على حسنه ، وتأكيد لاستناده إلى الله ، وأنه من عنده ،

---

[٨٩] الكشاف ، ١ : ١٢٨ ، و انظر : فتح القدير ، ١ : ٧٩
[٩٠] سورة القيامة : ٢١
[٩١] سورة القيامة : ١٢
[٩٢] سورة القيامة : ٣٠
[٩٣] سورة الشوري : ٥٣
[٩٤] سورة آل عمران : ٢٨
[٩٥] سورة البقرة : ٢٤٥
[٩٦] سورة هود – عليه السلام : ٨٨
[٩٧] الكشاف ، ٤ : ٥٦٥
[٩٨] سورة المزمل : ٢٠
[٩٩] الكشَّاف ، ٤ : ٥٤٧
[١٠٠] سورة الزمر : ٢٣

وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه ، وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث ".[١٠١] والمعنى في قوله: " هو أنشأكم من الأرض".[١٠٢] و"هو يحيي ويميت". [١٠٣] ، و" الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر".[١٠٤] فقال: لم ينشئكم منها إلَّا هو.[١٠٥] وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره، يكونه من غير كلفة ولا معاناةٍ ، جعل هذا نتيجة من قدرته على الإحياء و الإماتة، وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أن مقدورًا لا يمتنع عليه ، كأنه قال : فذلك من الاقتدار ، إذا قضى أمرًا كان أهونَ شيءٍ وأسرعه ".[١٠٦] والله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره، والذى بسط رزق أهل مكة ووسَّعه عليهم .[١٠٧] كل ما يشغل بال الزمخشري هو النظر في ماهية (الفاعل) ، من هو ؟ ، الذي يرتبط فى عقيدة الاعتزال بمكانة خاصة، فجاء هذا التأول للفاعل المستتر ، فقُدم المبتدأ ، الذى هو فاعل فى المعني ، بناء على بُعدٍ عقدى ، لا فنيٍّ . لذا استخدم الزمخشري فكره الاعتزالي فى تأوّل الكثير من التراكيب الخالية من أدوات القصر ، فعدَّها من باب القصر ، الذى يُفيد التخصيص ، ويُلح الزمخشري فى عرض فكره من خلال استثمار ما فى التراكيب من قوالب ، تصلح لأن تؤمد فكره ، ليناسب بذلك أفق التلقى لدى المخاطب المقصود ، وهو ما تُنادى به اللسانيات الحديثة . من ذلك ذهابه إلى أن ضمير الفصل يقوم بوظيفة تعبيرية حاسمة ، وهى : الربط بين عناصر التركيب النحوي ، وتأكيد مضمونه ، كما فى قوله – تعالي : " أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ أولئك هم الغافلون ".[١٠٨] فذكر أن ضمير الفصل – هنا – للتسجيل عليهم بالغفلة ، وتشبيههم بالبهائم ، فجاءت الجملة الثانية مقررة لما فى الأولي ، وأن ضمير الفصل (هم) جاء للدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة ، والتوكيد ، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون خبره ، وأن التعريف فى قوله – تعالي : "الغافلون ". يُفيد التخصيص وأن الغافلين هم الموصوفون بالضلالة ، كما إذا بلغك أن إنسانًا قد تاب من أهل بلدك ، فاستخبرت : من هو؟ فقيل : زيد التائب. أى : هو الذى أُخبرتَ بتوبته.[١٠٩]

- **<u>تقديم ما فيه دليل الفضل و إن خالف عقيدة أهل الإجماع :</u>**

---

[١٠١] الكشاف ، ٤ : ١١٢
[١٠٢] سورة هود – عليه السلام : ٦١
[١٠٣] سورة غافر : ٦٨
[١٠٤] سورة الرعد : ٢٦
[١٠٥] الكشاف ، ٢ : ٢٧٢
[١٠٦] الكشاف ، ٤ : ١٦٠
[١٠٧] الكشَّاف ، ٢ : ٢٧٢
[١٠٨] سورة الأعراف : ١٧٩
[١٠٩] انظر : الكشَّاف ، ١ : ٥٨ ـ ٥٩

يتشدد الزمخشري فى الانتصار لأصول المعتزلة ، والتي تقتضى تقديم الأصلح على الصالح ، أو الفاضل على المفضول ؛ فتأول التراكيب النحوية على أنها جاءت للقصر و التخصيص ، على الرغم من أن ظاهرها لم يُشرْ إلى ذلك المعنى ، وقال بذلك عند تقديم النبي محمد- صلى الله عليه وسلم - على غيره من الأنبياء ، في قوله – تعالي : " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابن مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ".[١١٠] يقول الزمخشري : واذكر حين أخذنا من النبيين جميعًا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيّم ، و(منك) خصوصًا ؛ فإن قلت : لم قُدِّم رسول الله – صلى الله عليه و سلم – على نوح فمن بعده ؟ قلت : هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم ، فلما كان محمد – صلى الله عليه و سلم – أفضل هؤلاء المفضلين قُدِّم عليهم ، لبيان أنه أفضلهم ، ولولا ذلك لقدم من قدَّمه زمانه .[١١١] ومن أمثلة ذلك قوله – تعالي: "وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ".[١١٢] يقول ابن القيّم:" ومن المقدم بالرتبة ، حيث قدم الفاضل على المفضول ؛ قوله – تعالي : " يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر". لأن الذى يأتى راجلًا يأتى من مكان قريب ، والذى يأتى على الضامر يأتى من مكان بعيد ؛ على أنه قد رُوي عن ابن عباس أنه قال : وددتُ لو حججتُ راجلًا ، لأن الله قدَّم الرجالة على الرُّكبان في القرآن ، فجعله ابن عباس من باب تقدم الفاضل على المفضول ، والمعنيان موجودان ".[١١٣]

وعلة التقديم في هذه الآية علة فقهية ،لإزالة الوهم ، يقول ابن القيّم : " وأما تقديم الرجال على الركبان ، ففيه فائدة جليلة ، وهى أن الله شرط في الحج الاستطاعة ، ولابد من السفر إليه لغالب الناس ، فذكر نوعى الحجاج ؛ لقطع توهم من يظن أنه لا يجب إلا على الراكب ؛ وقدَّم الرجال اهتمامًا بهذا المعنى وتأكيدًا ؛ ومن الناس من يقول : قدَّمهم جبرًا لهم – وفي ذلك عناية بأحوال النفس البشرية وأبعادها – لأن نفوس الركبان تزدريهم و توبخهم ، و تقول : إن الله لم يكتب عليكم ، ولم يُرِدْه منكم ، وربما توهموا أنه غير نافع لهم ؛ فبدأ بهم جبرًا لهم و رحمة ".[١١٤] فيحمل تقديم الرجال على الراكبين أنه من باب الأفضل والمفضول ، وأن الرجال المُشاة أفضل في عبادة الحج، وهو من باب المفاضلة بين العبادات وأصحابها ، فيذكر الزمخشري أن أبا حنيفة كان يفاضل بين العبادات ، قبل

---

[١١٠] سورة الأحزاب : ٧
[١١١] الكشاف ٢ : ٤٦٦
[١١٢] سورة الحج : ٢٧
[١١٣] بدائع الفوائد ، لابن قيّم الجوزية ، تحقيق : صلاح الدين محمود السعيد ، دار البيان العربى ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م . ١ : ٥٠
[١١٤] بدائع الفوائد ١ : ٥٥

أن يحُجَّ ؛ فلما حجَّ فضَّل الحج على العبادات كلِّها ، لما فيها من منافع دينية ودنيوية ؛ كذلك الحال بالنسبة لصاحب العبادة ؛ فالراجل له في الحج الكثير من المنافع ، لا توجد في غير الحج ".[١١٥]

- **الاحتفاء بالدلالة الشكلية ( الظاهر ) :**

يقف الزمخشري أمام ظاهر بعض الآيات ، التي يُناصر معناها الظاهر آراء المعتزلة ومبادئها ، فيجعلها محكمة ، وتلك التي تخالف ظاهر أصول الاعتزال يجعلها متشابهة .[١١٦] ومن ثَمَّ يقوم بتوجيهها توجيهًا يخدم مذهبه ، وقد استعان في سبيل ذلك بكل ما في وسعه ، فاستعان باللغة والنحو ، وأوجه المجاز والقراءات ؛ بل بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ".[١١٧] فأصبح نظام التقعيد عنده معبّرًا عن قدرة المرء على الاستعمال غير المحدود لوسائل محدودة ، والاهتمام بالصفات العامة المشتركة فى اللغات ؛ بدلًا من التأكيد على الفروق بين اللغات .[١١٨] وهو – بذلك – يُراعى أفق المتلقي التي تنادى به اللسانيات الحديثة ، بضرورة أن يوفِّر المؤلِّف وضوحًا مناسبًا للمتلقى ، يُمكنه من إدراك المعنى في ضوء أنساقه ، وحسب نمط التلقى ، ففي حديث مطول يعظِّم الزمخشري العقل في إدراك المعاني من خلال التمثيل ، وأنه سبيل الأدلة والأمارات ، وهو أداة الإقناع ، بل إنه يُنكر العقل على من يدفع الواضح ، وينكر المستقيم ، ويعوّل على المكابرة والمغالطة . ويُشير إلى أن من أنجع سبل إدراك المعاني الخفية إنما تكون عن طريق التمثيل ، فهو يرد بشده أن يُوصف الله – تعالي – بالخجل ، كما في قوله – تعالي : " إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها ".[١١٩]

يقول : " فإن قلت : كيف جاز وصف القديم سبحانه به ، ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم ؟ قلتُ : هو جارٍ على سبيل التمثيل ، مثل تركه تخييب العبد ، وكذلك معنى قوله " إن الله لا يستحيى ". أى : لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحى أن يتمثل بها لحقارتها .. فجاء التمثيل من باب المقابلة ، و إطباق الجواب على السؤال ، وهو فن من كلامهم بديع و طراز عجيب".[١٢٠] والواضح من تعليقات الزمخشري أنه استثمر أصول

---

[١١٥] انظر : الكشاف ٣ : ١٣٦

[١١٦] انظر : منهج الزمخشري فى تفسير القرآن و بيان إعجازه ، مصطفى الصاوى الجوينى ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ( د . ت ) : ١٠٧

[١١٧] الكشاف ١ : ١١٨ ، وانظر : فتح القدير ،١ : ٧٣

[١١٨] انظر : البني النحوية ، تأليف : نعوم تشومسكى ، ترجمة ، د : يؤيل يوسف عزيز ، مراجعة : مجيد الماشطة ، ط١ ، دار الشروق الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٧م :٥

[١١٩] سورة البقرة : ٢٦

[١٢٠] انظر : الكشاف ١ : ١١٩

الاعتزال في القول بوقوع التمثيل في صفات الله – تعالي – بأن حقق اتساعًا في الدلالة على المعاني الظاهرة والخفية ، وأن الاعتزال قد أبرز وجوهًا حسنة من المعاني . يقول في الآية السابقة : " كأنه قيل : لا يستحيى أن يضرب مثلًا حقًّا أو البتة هذا إذا نصبت بعوضة ؛ فإن رفعتها فهى موصولة صلتها بالجملة ؛ لأن التقدير هو بعوضة ، فحذف صدر الجملة ، كما حُذف من " تمامًا على الذى أحسن " . ووجه آخر حسن جميل ، وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام ، لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات ، قال : إن الله لا يستحى أن يضرب للأنداد من الأشياء المحقرة مثلًا ، بله البعوضة فما فوقها . [١٢١]

- **توكيـــد الدلالة بالحمل على المعنى :**

يلجأ الزمخشري إلى آلية الحمل بين المعاني ، حين تتصادم دلالتها مع مذهبه ، فيحمل الآيات المتشابهة على الآيات المحكمة ، كما في قوله – تعالي : " هو الذى أنزل عليك آيات محكمات هن أمُّ الكتاب وأخر متشابهات ".[١٢٢] يقول : " والمحكمات : أُحكمت عبارتُها بأن حُفظت من الاحتمال والاشتباه (متشابهات) مشتبهات محتملات ، (هن أم الكتاب) أى : أصل الكتاب ، تُحمل المتشابهات عليها ، و تُردُّ إليها ".[١٢٣]

- **السكوت عن ذكر الشيء المستعار طلبًا للغموض الفنى للمعانى :**

أكثر المعتزلة من حمل المعاني على سبيل المجاز والاستعارات والرمزية ،لإبراز تمكنهم وصدق معتقدهم، ولإمتاع المتلقي من خلال حثِّه على الغوص في مفردات المعنى المقصود ، وهذا من أسرار البلاغة و لطائفها ، فسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم أحذوا يرمزون إليه بذكر شيءٍ من روادفه ، فينبهوا بتلك الرموز على مكانه ، ونحو قولك: شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يغترف منه الناس ، وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها ؛ لم تقل هذا إلَّا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسدٌ وبحرٌ ، وعلى المرأة بأنها فراش.[١٢٤]

**(٢) أثر قضية العــدل :**

- **استثمار البعد الجمالى فى المجاز :**

من مبادئ العدل عند الزمخشري إيمانه بأن الإنسان هو صاحب الأفعال - نظرية كسب العباد لأفعالهم - وأن الله لم يخلق القبح ، وأنه – تعالي - منزه عن أن يُضاف إليه الشر أو الظلم ؛ مما جعله يحمل جميع الآيات في هذا المجال على إطلاقها ، وينقلها من

---

[١٢١] الكشاف ١ : ١٢٠
[١٢٢] سورة آل عمران : ٧
[١٢٣] الكشاف ، ١ : ٣١٢
[١٢٤] الكشاف ١ : ١٢٥

الحقيقية إلى المجاز ، في قوله – تعالي : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ولهم عذابٌ عظيمٌ ".[١٢٥] يُشير ظاهر الآية الكريمة إلى أن الله – تعالي - هو صاحب الفعل ، وهو القائم به ، وقد جسَّد التركيب النحوي هذا المعنى ، فارتبط لفظ الجلالة بالفعل بعلاقة الإسناد ، التي أكدت قيامه بفعل الختم على القلوب والأسماع والأبصار، وأن هذا الفعل قبيحٌ ، لما فيه من الجور والصدِّ عن وجه الهداية .لذا توسَّع الزمخشري في استثمار طاقات المجاز ، ليفتت تلك التراكيب التي اكتفها غموض ما وفق مذهبه ، فبدا ثمة تعارض ، فحمل الآية على أن الفعل مبنى على المجاز ، يقول : فإن قلت : فلم أُسند الختم إلى الله – تعالي – وإسناده إليه يدل على المنع ، مع قبول الحق و التوصّل إليه بطرقه ، وهو قبيح ، والله يتعالي عن القبح علوًّا كبيرًا ؛ لعلمه بقبحه ، و علمه بغناء عنه ؟. قلتُ : القصد إلى صفة القلوب ؛ بأنها كالمختوم عليها ؛ وأما إسناد الختم إلى الله – عزَّ و جلَّ - فليُنبه إلى أن هذه الصفة فى فرط تمكنها و ثبات قدمها كالشيء الخلقى لا العرضى ، فإن قلتَ : ما معنى الختم على القلوب و الأسماع ، وتغشية الأبصار ؟. قلتُ : لا ختم و لا تغشية ثَم على الحقيقة ، وإنما هو من باب المجاز، و يحتمل أن يكون من كلا نوعيه ، وهما : الاستعارة و التمثيل ؛ أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم ، لأن الحق لا ينفذ فيها أما التمثيل فأن تُمثل بأشياء ضُرب حجابٌ بينها وبين الاستنفاع بها بالختم و التغطية".[١٢٦]

فينفي وقوع الفعل من الله – تعالي – لأن ذلك منافٍ لعدله ،إذ الخلق هم من يصنعون أفعالهم ، وأنه – تعالي – منزه عن وقوع القبح منه ، و هذا ما أبرزته العلاقة الإسنادية بين الفعل و الفاعل في الآية السابقة ، يقول : أما إسناد الفعل إلى الله – تعالي – فهو على سبيل المجاز ، فيكون الختم تنبيهًا إلى أن هذه الصفة من فرط تمكنها ، وثبات قدمها كالشيء الخلقى غير العرضى ، أو يكون الفعل مسندًا إلى اسم الله على سبيل المجاز ، و هو لغيره حقيقة ، و تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتَّى ، يُلابس الفاعل ، و المفعول به ، والمصدر ، والزمان ، والمكان ، والمسبّب له .. فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر ؛ إلَّا أن الله – سبحانه – لما كان هو الذى أقدره و مكنه أُسند إليه الختمُ ، كما يُسند الفعل إلى المسبّب .[١٢٧]

وتنكر المعتزلة وقوع الإضلال من الله – تعالي – لعباده ، إنما الخلق هم من يختارون أفعالهم ؛ وخير مثال على ذلك هو إبليس ؛ فإنه ضل عن طريق الإيمان إلى طريق الكفر باختياره ؛ تعظيمًا لمبدإ العدل الإلهى ، لذا فقد استخدم الزمخشري أسلوب الحجاج والتفاوض والإقناع ، في عرض أدلته لتنزيه الله عن كل ما يخالف الفطر والعقول

---

[١٢٥] سورة البقرة : ٧

[١٢٦] الكشاف ، ١ : ٦٢ و ما بعدها

[١٢٧] انظر : الكشاف ، ١ : ٦٣ ، ٦٤

السليمة ، والقلوب الهادفة إلى صحة الإيمان ، ونفي أن يكون مراد الله هو مراد العبد ، يقول في معرض تفسيره لقوله – تعالي: " الله يستهزئ بهم و يمدُّهم في طغيانهم يعمهون ".[١٢٨] يقول : " والمد في الطغيان : زيادته ، لأنه يتجدد وقتًا بعد وقت ، ويلحق ما يقويه و يكثره ؛ حتى يتلاحق غيُّه ويزداد انهماكًا فيه ، والتمادي في الضلالة والطغيان مما اقترفته أنفسهم ، واجترحته أيديهم ؛ وذلك ردًّا لمن سأل ؛ كيف جاز أن يوليهم الله مددًا في الطغيان ، وهو فعل الشيطان ؛ ألا ترى إلى قوله – تعالي: " وإخوانهم يمدُّونهم في الغي " ؟.[١٢٩] ثم يقول ، قلت : إن الله برئ منه ردًّا لاعتقاد الكفرة القائلين : " لو شاء الله ما أشركنا .[١٣٠] ونفيًا لوهم من عسى أن يتوهم عند إسناد المد إلى ذاته ؛ لو لم يضف الطغيان إليهم ، ليُميط الشبه ويقلعها ، ويدفع في صدر من يُلحد في صفاته : أن الطغيان فعله ".[١٣١] ويرى الزمخشري أن الصواب فيما ذهب إليه ؛ لأن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ و شهد لصحته، ويشهد لذلك بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها.[١٣٢]

- **استثمار طاقة الدلالة المركزية للألفاظ والأساليب :**

تؤمن المعتزلة بأن القرآن كلام الله مخلوق ، بخلاف أهل السنة الذين يرفضون ذلك الأصل ، تنزيهًا لله – تعالي – لذا فقد أخضع الزمخشري دلالة الحروف و الأساليب لمذهب الاعتزال ، كما في قوله – تعالي: " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله .. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتَّقوا النار".[١٣٣] فيذهب الزمخشري إلى أن البناء الشرطي الوارد في الآية الكرية ، والمصدَّر بأداة الشرط ( إن) دليلٌ على أنه يُمكن للبشر الإتيان بمثل هذا القرآن ، لأن في الشرط دلالة على التردد والتعليق وإمكانية التحقق . لأن حرف الشرط (إن) يختص بالدخول على الأفعال الممكنة الحدوث ، ولا يُستعمل إلَّا في المعاني المحتملة . يقول : " فإن قلت : انتفاء إتيانهم بالسورة واجب ، فهلا جيء بـ : (إذا) الذى للوجوب دون (إنْ) التي للشك ؟. قلتُ : فيه وجهان : أحدهما أن يُساق القول معهم على حسب حسبانهم و طمعهم ، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل ؛ كالمشكوك فيه لديهم ؛ لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام ، والثاني : أن يتهكم بهم ، كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يُقاويه : وإن

---

[١٢٨] سورة البقرة : ١٥
[١٢٩] سورة الأعراف : ٢٠٢
[١٣٠] سورة الأنعام : ١٤٨
[١٣١] انظر : الكشاف ١ : ٧٩ – ٨٠ ( بتصرف ) .
[١٣٢] انظر : الكشاف ، ١ : ٧٩
[١٣٣] سورة البقرة : ٢٣ ، ٢٤

غلبتك لم أُبق عليك . وهو يعلم أنه غالبه ، ويتيقنه تهكمًا به ".[١٣٤]

- **تضميـــن الخبر معنى الإنشاء :**

ومن أصول المعتزلة التي تتصل بمبدإ العدل القولُ بكسب العبد لأفعاله ، من دون إجبار من الله – تعالي – وأن ذلك مناط الحساب ، وقد عرض في تفسيره صورًا لتمثيل المادى بالحسى ، حتى يُقنع مخاطبه ، كما في قوله – تعالي : " لا إكراه في الدين " .[١٣٥] يقول : " أى : لم يُجرِ الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر ، ولكن على التمكين والاختيار ، ونحوه : قوله – تعالي : " ولو شاء ربُّك لآمن من في الأرض كلُّهم جميعًا ".[١٣٦] أى : لو شاء لقسرهم على الإيمان ، ولكنه لم يفعل ، وبنى الأمر على الاختيار . وأبرز لأجل ذلك الآيات الحسية والعقلية ، ليمكن للإنسان اختيارًا صحيحًا ، بالتمثيل والنظر والاستدلال بالمُشاهد المحسوس ، حتى يتصوره السامع ؛ كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به . ثم يذهب بالآية مذهبًا تضمينيًّا بأن الأصل في كل شأن هو إرادة الله ، وأن الأصل في الآية الإنشاء ، ولأجل تلك القاعدة السابقة استثمر الخطاب القرآني طاقات تلك المغايرة ، فحول الشكل إلى الخبر ، وكأن الأصل فيها إخبار في معنى النهى، أى : لا تكرهوا في الدين".[١٣٧] وقد أيَّد الإمام الشوكانى (ت ١٢٥٠هـ) ما ذهب إليه الزمخشري من أن الآية فيها حمل الخبر على الإنشاء ، والتقدير : لا تُكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام ؛ فإنه واضح بيّن جليٌّ دلائله وبراهينه ، لا تحتاج إلى أن يُكره أحدٌ على الدخول فيه ، والحمل على الإنشاء أقيس و أقوي ؛ فإنه لا يفيد الدخول في الإسلام كرهًا أو قسرًا .[١٣٨]

ومن ذلك استثمار الزمخشري لدلالات الحروف حتى ينتصر لمذهبه ، فيؤول ما أوهم ظاهره على خلاف معتقد المعتزلة ، من ذلك قوله – تعالي : " أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض و ما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع و ما كانوا يُبصرون ".[١٣٩] فيوهِم ظاهر الآية الكريمة بأن الله – تعالي – يأتى منه الجور والتجبر على خلقه ؛ بأنهم لا يُعجزونه ، وأنه – تعالي – لم يمكنهم من السمع و لا من البصر ، فأوَّل الزمخشري تلك الآية حتى يصرف الأفهام عن وقوع الجور من الذات الإلهية ، فقال : " أى : ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يُعاقبهم ؛ لو أراد عقابهم ، وما كان لهم من يتولَّاهم فينصرهم ، ويمنعهم من عقابه ؛ ولكنه أراد إنظارهم وتأخير

---

[١٣٤] الكشاف ، ١ : ١٠٧ ، ١٠٨
[١٣٥] سورة البقرة : ٢٥٦
[١٣٦] سورة يونس – عليه السلام : ٩٩
[١٣٧] انظر : الكشَّاف ، ١ : ٢٨٦
[١٣٨] فتح القدير ، ١ : ٣٥٦
[١٣٩] سورة هود – عليه السلام : ٢٠

عقابهم إلى هذا اليوم ، وهو من كلام الأشهاد . ثم يؤيّد كلَّ ذلك بأن (ما) جاءت للنفي، لتنفي السمع والبصر ، على سبيل المجاز ، وأن (ما) تحمل عمومًا وإبهامًا ، أشار إلى مطلق النفي.[١٤٠] وقد جاء على هذا الأمر قوله – تعالي:" وإذا ما أُنزلت سورةٌ نظر بعضُهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون".[١٤١] يوهم ظاهر الآية أن الله – تعالي – هو القائم بفعل الإضلال لعباده عن الإيمان ، بل إنه – تعالي – يصرفهم عن ذلك صرفًا . فأوَّل الزمخشري ظاهر هذه الآية ليوافق معتقده ، فجعل أسلوب الخبر في قوله – تعالي:" صرف ". أسلوبًا محولًا عن إنشاء ، قُصد به الدعاء عليهم بالخذلان ، وبصرف قلوبهم عمَّا في قلوب أهل الإيمان من الانشراح.[١٤٢] ولعل هذا ما تُنادى به اللسانيات من إمكانية التعبير بالخبر وإرادة الإنشاء ، فقد تحول الفعل ( صرف ) من الخطاب الخبري إلى خطاب الإنشاء ؛ ليتسنى له نفي الضلالة عن الله – تعالي – فيصبح الفعل (صرف) بعد تحويل دلالته إلى معنى الدعاء بصرف قلوبهم عن الإيمان ، لأنهم " قوم لا يفقهون ".[١٤٣]

**(٣) : أثر قضية الوعد و الوعيد :**

الوعد : كلُّ خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير ، أو دفع ضرر عنه في المستقبل ، كما وعد الله – تعالي – المطيعين بأن يُدخلهم في رحمته . والوعيد: كلُّ خبرٍ يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تضييع نفع عنه في المستقبل ، كما يُقال إن الله قد توعد العصاة بعذاب في نار جهنم .[١٤٤] ويؤمن المعتزلة بأن قبول التوبة على الله واجب ، وأنه – تعالي – سينجز وعده ووعيده ، وأن المؤمنين يدخلون الجنة بأعمالهم ، وأنه الله – تعالي - يُجازى من أحسن بالإحسان ، ومن أساء بالسوء ، و لا يغفر لمرتكب الكبيرة ما لم يتُب ، ولا يقبل في أهل الكبائر شفاعة ، و لا يُخرِج أحدًا منهم من النار . وهذا الأصل مأخوذٌ من قولهم بالعدل ، لذا فإنهم ينفون الشفاعة .

فلا شفاعة للعصاة يوم القيامة ، على اعتبار أنها تتنافي مع الوعيد . لذلك فقد أوَّلوا جميع الآيات ؛ التي ظاهرها إثبات الشفاعة ، وتمسكوا بالآيات التي تفيد نفيها ؛ أما بالنسبة لمرتكب الكبيرة [١٤٥] وحكمه الأخروي ، فقد قرروا أنه مخلد في النار ، استنادًا إلى أصل الوعيد الإلهي ، إلَّا أن عذابه أخف من عذاب المشرك أو الكافر ؛ نظرًا إلى أنه يُعدُّ

---

[١٤٠] انظر : الكشاف ، ٢ : ٢٥٤

[١٤١] سورة التوبة : ١٢٧

[١٤٢] الكشاف ، ٢ : ٢٠٤

[١٤٣] الكشاف ، ٢ : ٢٠٤

[١٤٤] انظر : شرح الأصول الخمسة ، لقاضى القضاة ، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ، تحقيق : عبد الكريم عثمان ، ط١ ، مطبعة وهبة ، ١٩٦٥م :١٢٤

[١٤٥] و الكبيرة – عند المعتزلة – ما اقترنت بالوعيد ، والصغيرة : ما لم تقترن بالوعيد .

فاسقًا ، من وجهة نظرهم ، وليس بمشركٍ و لا كافر ".[١٤٦]

- **تقوية المعاني ورفع كفاءة الإعلامية النصية :**

يقوم النص برسالة تبليغية ، حيث يريد المؤلف إعلام المتلقي حالة ما ؛ وهذه الوظيفة التبليغية يمكن التعبير عنها بعبارة : أنا المؤلف أبلغك الحالة \ الواقعة س (مضمون النص) أى : يُفهم الباثُ المتلقي أنه يوفر له معرفة ، وأنه يريد أن يبلغه شيئًا ما ، وهنا، عظَّم ( كلاوس برينكر) من دور معونة السياق في رفع الكفاءة الإعلامية بأن وَصَفَ السياق بأنه موقف مقوّم.[١٤٧] يتصل معيار الإعلامية بتحقق الوعى من خلال اللغة ، بوصفها وسيلة التواصل بين شركاء موقف التواصل ، وهنا يتبادر إلى الذهن ؛ هل اللغة وسيلة واضحة ، يمكن الاعتماد عليها في تحقيق هذا القدر المناسب من شروط التواصل بين الناس بعضهم بعضًا ، و يُستعمل للدلالة على مدى ما يجده مستقبلو النص من جدة وعدم توقع ؟. وفي العادة تطبق هذه الفكرة على المحتوى ،إن يكن من الممكن توافر الإعلامية في وقائع أى نظام من أنظمة اللغة ".[١٤٨]

وتكون الإعلامية بالكلمات وسيلة ناجحة بقدر كبير في إنجاح عملية التواصل ؛ لأن الكلمات هى أسماء الأشخاص والأشياء ، ولا يكمل الفهم ، إلَّا حين يقف السامع على كل هذه الأدوات ، والدلالة الاجتماعية للكلمات ، والتي تظل تحتل بؤرة الشعور ، لأنها الهدف الأساسي في كل كلام ، وليست العملية العضوية التي نقوم بها في النطق بالأصوات ؛ إلا وسائل يرجو المتكلم أن يصل عن طريقها إلى ما يهدف إليه من فهم أو إفهام.[١٤٩] ترتبط الإعلامية في اللسانيات الحديثة بمعياريْ الجدة والتنوع ، ومراعاة أفق انتظار المتلقي، لذا فإن هذين المعيارين يحددهما المتلقي ؛ حيث إنه يقبل النص ؛ إذا ما وافق أفق انتظاره بمساحة كبيرة ، أما الجدة والتنوع فإنه يحددها بمعيار عدم التوقع ، ويرسم حدودها المرسل ؛ باختياراته في أثناء صياغة النص ، وبالطبع يُظهر هذا التحديد

---

[١٤٦] انظر : الفصل في الملل ٤و الأهواء و النحل : ٦٣

(١٤٧) التحليل اللغوى للنصوص ، ، كلاوس برينكر ، ترجمة ، د : سعيد حسن بحيري ، ط٤ ، مؤسسة المختار ، ، القاهرة ، ( د . ت ) : ١٣٨ – ١٤٠ ، و انظر : النص و الخطاب و الإجراء : ٢٤٩

(١٤٨) مدخل إلى علم لغة النص ، تطبيقات لنظرية روبرت دى بوجراند وولفجانج دريسلر ، تأليف : د : إلهام أبو غزالة ، و على محمد خليل ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .: ١٨٤

(١٤٩) دلالة الألفاظ ، د : إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤م : ٤٨

للإعلامية مراتب النصوص ، وتعكس رغبة بعض الكتاب في التميز .[١٥٠]
وقد استثمر الزمخشري القول بأن قبول التوبة على الله واجب ، في قوله – تعالي : " إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم ".[١٥١] فذكر أن قوة النص ترتكز على التكرير لجمل معينة ، يجمعها جذر لغوى واحد ، مما يكثف الشحنات الدلالية لأفق التلقى لدى متلقيه ، فترفع كفاءة النص فيما يخص الإعلامية النصية ، وقد تجلَّت قوة المعنى في تلك القوالب اللغوية التي تقوم بإصرار المرء على بلوغ التوبة ، لأن قبول التوبة من العبد على الله واجبة فالمرء في أى جزءٍ تاب من أجزاء الزمان ، فهو تائب من قريب ، وإلَّا فهو تائب من بعيد . يقول الزمخشري : " فإن قلت : ما فائدة قوله : " فأولئك يتوب الله عليهم " . بعد قوله : إنما التوبة على الله لهم ؟ . قلتُ : إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه ، كما يجب على العبد بعض الطاعات ، وقوله : " فأولئك يتوب الله عليهم ".عدةٌ بأنه يفي بما وجب عليه ؛ وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة ، كما يعد العبد الوفاء بالواجب " .[١٥٢]

- **<u>مراعاة البعد النفسى لدى المتلقي</u> :**

لا ينفك الزمخشري يدافع عن اعتزله ، مدركًا لأبعاد التواصل بين الخطاب القرآني ومتلقى المعاني من أنصار الاعتزال ، فيحمل الحروف دلالات نفسية لمعانيها ، تلقى قبولًا لدى متلقى الخطاب ، بأن تكرير الحروف فيه تأخير للحدث مع إلزام تحققه ، وفي ذلك ضمان للمتلقى، ومراعاة للسياقات التي تحدد المعاني، وتضيق فيوضها الدلالي ، من إطار ثقافي وآخر اجتماعى ، وما يختلج في المتلقي من أبعاد نفسية . فذكر أن السين في قوله : " سيجعل لهم الرحمن وُدًّا ".[١٥٣] تفيد التحقق والتأخير ، فتطمئن نفوس المؤمنين ، وتأمن من بعد فزع [١٥٤] فالسين مفيدة لوجود الود لا محالة ، فهى تؤكد الوعد ؛ كما تؤكد الوعيد في قولك : سأنتقم منك يومًا ، تعنى : أنك لا تفوتنى ، وإن تباطأ ذلك ، ونحو قوله – تعالي : " ولسوف يُعطيك ربُّك فترضى ".[١٥٥]
يستخدم الزمخشري القوالب اللغوية في مراعاة البعد النفسى للمتلقى ؛ بأن الله – تعالي – يمنح عباده وعدًا شاملًا لما أعطاه في الدنيا ، ولما ادَّخر للمؤمنين من الثواب ، ويذكر أن بعض القوالب اللغوية تحمل قوة التوكيد في الشكل اللغوى ، وفي البعد النفسى ، يقول : "

---

(١٥٠)النص و الخطاب و الإجراء ، {روبرت دى بوجراند ، ترجمة د : تمام حسَّان ، ط ١ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٤١٨هـ \ ١٩٩٨م .: ٢٥
١٥١ سورة النساء :١٧
١٥٢ الكشاف ، ١ : ٤٤٠ ، ٤٤١
١٥٣ سورة مريم : ٩٦
١٥٤ الكشاف ٣ : ٤٤
١٥٥ سورة الضحى : ٥

فإن قلت : ما هذه اللام الداخلة على (سوف) ؟ قلتُ : هى لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة؛ فإن قلت : ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير ؟ . قلتُ : معناه أن العطاء كائن لا محالة ، وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة ، حتى لا تفرع نفس المتلقي ؛ فلا يتوقع إلَّا الحسنى و زيادة الخير والكرامة ، ولا يضيق صدره ولا يقلَّ صبره ".[١٥٦] ثم يؤكد مذهبه بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار لا يخرج منها ، ما لم يتب قبل موته ؛ لكنه قد ينتقل من عذاب إلى آخر ، فيستثمر الطاقات الدلالية للأفعال وما يتعلق بها من سوابق ولواحق ، وأثر ذلك كلِّه على النفوس المترقبة ، كما في قوله – تعالي : " ربما يودُّ الذين كفروا لو كانوا مؤمنين " .[١٥٧]

وقد يستخدم معونة دلالة القوالب على عكس معناها ، فيبين عن البعد النفسى ، الذى يحاول المؤلِف إخفاءه لنكتة نفسية ، يقول : فإن قلتَ : لم دخلت – أى : ربما – على المضارع ؛ وقد أبوا دخولها إلَّا على الماضى؟. قلتُ : لأن المترقب في إخبار الله – تعالي – بمنزلة الماضى المقطوع به في تحققه ، فكأنه قيل : ربما ودَّ ؛ فإن قلت : متى تكون ودادتهم ؟. قلتُ : عند الموت، أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ، وقيل : إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار".[١٥٨]

**(٤) أثر قضية المنزلة بين المنزلتين :**

يقول القاضى عبد الجبار : " والأصل في ذلك إن هذه العبارة إنما تُستخدم في شيءٍ بين شيئين ، ينجذب إلى كلِّ واحدٍ منهما بشبه ، هذا في أصل اللغة ، وأما في اصطلاح المتكلمين : فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسمٌ بين الاسمين ، وحكمٌ بين الحُكمين ؛ فلا يكون اسمه اسم الكافر ، ولا اسمه اسم المؤمن ، وإنما يُسمى فاسقًا ؛ وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ، ولا حكم المؤمن ، بل يُفرد له حكم ثالث ، وهذا الحكم الذى ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين ، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان ؛ فليست منزلته منزلة الكافر ، ولا منزلة المؤمن ؛ بل له منزلة بينهما ".[١٥٩] فهو خالد في النار ، إن مات بلا توبة ، وهو من جملة الكفار ، ولا يجوز لله أن يغفر له.[١٦٠] وهو ما امتازت به المعتزلة عن سائر فرق المسلمين ، وقد ارتبط هذا الأصل بظهورهم و نشأتهم ، إذ اتخذوا – من خلاله – موقفًا وسطًا بين الخوارج والمرجئة ، وبموجب هذا الأصل يكون صاحب الكبيرة فاسقًا- والفاسق فى الشريعة :

---

[١٥٦] انظر : الكشاف ، ٣ : ٤٤ ، و انظره ، ٤ : ٦٥٧

[١٥٧] سورة الحجر : ٢

[١٥٨] الكشاف ٢ : ٤٠٩

[١٥٩] شرح الأصول الخمسة ، ١٣٧ ، ٦٩٧

[١٦٠] انظر : فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة : ٣٥٠

الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، ولا يقال : إنه مؤمن ، ولا مشرك، ولا كافر".[١٦١] فهو في منزلة بين المنزلتين .

- **بســـط الدلالـــة ( البسط الوصفي ) :**

ترتكز آلية البسط للمعانى على إدراك تيمة القوالب اللغوية الملفوظة على هيئة خاصة ، بهدف تحقيق بعد تواصلى مطلوب ، يستدعى ذلك أن يُلم المؤلِّف بمحور تلك القوالب – أولًا – بأن يُحدد نواة النص ، فهو يري أن الجملة النواة هى الجملة التي تخدم اعتزاله وأن الجملة الظاهرة هى جملة محولة عن تلك الجملة النواة التي تؤيد ما ذهب إليه ، ويستخدم لعرض قصده العبارات المفسرة ، تارة موجزة ، و أخرى مبسوطة ، لتجنب عدم الوضوح في قوالبه اللغوية وفق هيئتها ، ليصل القصد إلى متلقيه .، فيعرض المؤلف الأنساق الجزئية لمضمون النص و يؤكدها بكل سبيل من المنقول أو المعقول أو كليهما ، فتتكامل لتشكل البنية الكلية له ، فيتأكد القصد لدى متلقيه.[١٦٢] كما في قوله – تعالي :" ولهم عذابٌ أليمٌ . يُريدون أن يَخرُجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيمٌ".[١٦٣] نرى الزمخشري مراعيًا لمتلقيه من أهل الاعتزال ، ليؤكد أن أصحاب النار لا يخرجون منها ، فيذكر أن صاحب النار لا يخرج منها ، حتى لو افتدى نفسه بملء الأرض ذهبًا ، ثم يورد أقول رسول الله في ذلك ، ما معناه : يُقال للكافر يوم القيامة، أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدى به ؟ فيقول : نعم . وهنا تتجلى العلاقة بين مرويات الزمخشري و مراعاته لبسط الدلالة التي يروم منها إيصال مقصده، وكذلك إدراكه لأدوات الربط و بعدها الدلالي ؛ فتشيع في كتاباته أوجه الإعادة ، لتستخدم الوحدات المعجمية في بسط المضمون القضوى لجملة ما أو لنص ما ، فهو يُقارب بين الوحدات المعجمية في كلام عبد الله بن عباس ، بعقد موازنة بين العمى ، والزعم بخروج أهل النار منها .

فيستثمر الطاقات الدلالية لأداة النفي (ما) في قوله : وما هم بخارجين . فيوازن بين ذلك الخير، الإقرار بوقوع العذاب الأليم عليهم ، ثمَّ يشدد على مذهبه بقوله : لو ثبت أن لهم ما في الأرض ، وهذا محال ، لثبت خروجهم من النار. فقد ارتكز الزمخشري في تأويله هذا على التحليل الموضوع لمفردات نصه ، مما يؤكِّد فهمه الكلى للنص ، وكلامه يحمل إدراكًا لطبيعة المكونات الرئيسة لبسط نصٍّ ما ، فهو ينتهج نهجًا حجاجيًّا ، ليراعي أفق انتظار متلقٍّ ما لفكر الاعتزال .[١٦٤] فيتصدى الزمخشري لجمل تُفهم بأكثر من طريقة واحدة ، ولها تمثيل مبهم على المستوي التحويلي ، فإنه يعرضها على أنماط التمثيلات

---

[١٦١] انظر : أمالى المرتضى ١ : ١١٥ - ١١٦

[١٦٢] انظر : التحليل اللغوى للنصوص : ٧٤ و ما بعدها

[١٦٣] سورة المائدة : ٣٦ ، ٣٧

[١٦٤] انظر : الكشاف ١ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨

الاعتزالية ، فيُعمل فيها أوجه التشابه ، ويصفها على ضوء من التمثيل التحويلي ، ويُعمل اعتزاله بين الجملة النواة والدلالة المحولة.[١٦٥] ويستثمر الزمخشري آليات البسط الموضوعي في قوله – تعالي:" يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتَكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالكم ".[١٦٦] فيستغل أولًا ضوابط النحو واللغة ، فيقول: " أن تحبط أعمالكم ". منصوب الموضع على أنه مفعول له . وفي متعلقه وجهان ، أحدهما : أن يتعلق بمعنى النهى، فيكون المعنى : انتهوا عمَّا نُهيتُم عنه لحبوط أعمالكم ، أى : لخشية حبوطها على تقدير حذف مضاف ، كقوله – تعالي: " يُبين لكم أن تضلُّوا ".[١٦٧] وتقدير المضاف المحذوف : كراهة . والثانى : أن يتعلق بنفس الفعل و يكون المعنى : أنهم نُهوا عن الفعل الذى فعلوه لأجل الحبوط ، لأنه لما كان بصدد الأداء إلى الحبوط جُعل كأنه فُعل لأجله ، وكأنه العلة و السبب في إيجاده على سبيل التمثيل ، ثم يبدو مراعيًا أفق انتظار المتلقي فتارة يبسط ، وأخرى يختصر ، يقول في معنى الآية السابقة : " فإن قلت : لخِّص الفرق بين الوجهين . قلتُ : تلخيصه : أن يقدَّر الفعل في الثاني مضمومًا إليه المفعول به على حياله ، ثم يعلل له منهيًّا عنه . ثم يبالغ في مراعاة أفق الانتظار بأن يغوص في الأجزاء الصغيرة المشكلة لتيمة النص الكلى ، فيستعين بالبعد المعجمى لبعض المفردات ، يقول : والحبوط : من حبطت الإبل : إذا أكلت الخضر، فنفخ بطونها ، وربما هلكت ، ومن أخواته " حبجت الإبل : إذا أكلت العرفج – وهو نبات سهلى إذا أكلته الإبل انفتخت بطونها – فأصابها ذلك ، وأحبط عمله : مثل أحبطه ، وحبط الجرحُ وحبر : إذا غَفِرَ ، وهو: نكسه وترامیه إلى الفساد .[١٦٨] بل إن الزمخشري يستثمر طاقة الحروف في الانتصار لقوله بأن المسلم العاصي في منزلة بين المنزلتين ، كما في قوله – تعالي: " إن الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا ".([١٦٩]) فيذكر أن الأداة (ثم) هى كلمة التراخي ، دلَّت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في : جاءنى زيدٌ ثم عمرو . أعنى أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه ، لأنها أعلى منها وأفضل.[١٧٠]

**(٥) : أثر قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:**

هو الأصل الخامس من أصول المعتزلة ([١٧١]) وهو واجب على كل مسلم ، لنشر الدعوة

---

[١٦٥] انظر : البني النحوية : ١٢٢
[١٦٦] سورة الحجرات : ٢
[١٦٧] سورة النساء : ١٧٦
[١٦٨] انظر : الكشاف ٤ : ٣٠٦ ، ٣٠٧
[١٦٩] سورة فصلت : ٣٠
[١٧٠] الكشاف ، ٣ : ٧٢
[١٧١] شرح الأصول الخمسة : ١٤١

الإسلامية ، وهداية الضالين ، وإرشاد الغاوين ، وهو أصل مشترك بين عموم المسلمين جميعًا ، لورود نصوص تحثُّ عليه .[١٧٢] كما في قوله – تعالي: " ولتكن منكم أمةٌ يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر".[١٧٣] بيد إنهم مختلفون في معناه ، وفي أقسامه ، وفي طريقته ، وفي وجوبه أو جوازه ، وقد بالغ المعتزلة في هذا الأصل ، وخالفوا ما عليه الجمهور ، من الوجوب إلى مرتبة أصول الدين ، ويرون وجوب استعمال السيف في تطبيق هذه الفريضة، بالإضافة إلى الوسائل الأخري .[١٧٤] فقالوا : إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يكون بالقلب إن كفي ، وباللسان إن لم يكفِ القلب ، وباليد إن لم يُغنيا ، وبالسَّيْف إن لم تكفِ اليد .([١٧٥])

- **تخصيص الدلالـــة :**

فقال في قوله – تعالي :" ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".[١٧٦]: " إن من للتبعيض ، واختص بذلك أهل الاعتزال ، لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفارات ، ولأنه لا يصلح له إلَّا من غَلِمَ المعروف والمنكر، وعلِم كيف يرتِّب الأمر في إقامته ، وكيف يُباشر ؛ فإن الجاهل ربما نهى عن معروف ، وأمر بمنكر ، وربما عرف الحكم في مذهبه ، وجهله في مذهب صاحبه ، ويُنكر من لا يزيده إنكاره إلَّا تماديًا ، وقيل : مَن للتبيين ، بمعنى : كونوا أمة تأمرون ، وهم الأخصَّاء بالفلاح دون غيرهم .[١٧٧] وكذلك في قوله – تعالي: " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ".[١٧٨] فبعد أن يعرض الزمخشري أسباب الاقتتال أو المجالدة ، وبعد أن يسرد الأحاديث والروايات التي تذم القتال ، وبعد أن يعرض آليات المصالحة والعدل ، يؤكد أن تخصيص الدلالة في هذا الموضع بالحمل على المعنى من دون اللفظ ، وأن الصيغ الفعلية جاءت للتقرير والإلزام

---

[١٧٢] انظر : الفصل فى الملل و الأهواء و النحل ، لابن حزم الأندلسى الظاهري ،تحقيق : محمد إبراهيم نصر ، وعبد الرحمن عميرة ، ( د . ط ) ، دار الجيل ، بيروت ، ( د . ت ) ، ج٥ : ١٩

[١٧٣] سورة آل عمران : ١٠٤

[١٧٤] انظر : مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين ، للإمام الأشعري ، (ت ٣٢٤ هـ ) ، تصحيح : هلموت ريتر ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، و كذلك : ط ٢ ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ ، ١ : ٣١١

[١٧٥] انظر : التفسير و المفسرون ، د : محمد حسين الذهبي ، ( د . ط ) ، دار الكتب الحديثة ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ١ : ٣٧٠ - ٣٧١

[١٧٦] سورة آل عمران : ١٠٤

[١٧٧] الكشاف ، ١ : ٣٦٣

[١٧٨] سورة الحجرات : ٤

، وأن استخدام صيغ المثنى ، وإرادة الجمع ؛ لأن أقل ما يقع بينهما الشقاق اثنان ، ثم يوسع الدلالة بمجاورة الجمع لما يدل على المثنى ؛ فأشار إلى الأقل ، وأن الفساد في الجمع أبلغ، وقد أخرج الزمخشري أهل الاعتزال من هذا التصارع والشقاق، فخصَّهم بالإيمان [١٧٩] فمن خلال إيمان الزمخشري بأن الأمر بالمعروف من الكفايات ، أوَّل (من) : بأنها تُفيد التبعيض. ويستشهد على تخصيص الدلالة بقوله – تعالي: " كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر".[١٨٠] بأن الخطاب القرآني قد استخدم الفعل الماضى ، كأنه قيل : وُجدتم خيرَ أمَّةٍ ، وقيل : كنتم في علم الله خير أمة.[١٨١] وقيل: كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين بها .[١٨٢]

**المحور الثالث : بعض صورشطحات الوهم فى فكر الاعتزال :**

سيقتصر البحث على ذكر بعض الأمثلة لما جانب الزمخشري الصواب فى فهمها ، فبدا واهمًا ، ففسرها على غير ما تحمل خضوعًا منه لمذهبه ، ومن ذلك ما يلى :

- يد الله هى يد رسوله :

وهم الزمخشري حين حمل عبارة ( يد الله ) من قوله – تعالي : " يد الله فوق أيديهم ".[١٨٣] على أنها ليست يده ، إنما هى يد رسوله ، لأن المعتزلة ينزهون الله عن أن تكون لها جارحة ، يقول : " يُريد : أن يد رسول الله - التى تعلو أيدىَ المبايعين - هى يدُ الله ، والله – تعالي – منزَّهٌ عن الجوارح ، وعن صفات الأجسام ؛ وإنما المعنى تقريرُ أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله ، من غير تفاوت بينهما [١٨٤] كقوله : " من يُطع الرسول فقد أطاع الله ".[١٨٥] والحقُّ أن هذا التأويل لم يرد إلَّا فى عقيدة الاعتزال ، ويرفض ابن حزم الظاهري أن يكون المقصود بـ : يد الله : هو الله نفسه ، لأن الله – تعالي – لم يُسمِ نفسه يدًا أو وجهًا أو ذاتًا ، لأن هذه تسمية ،و التسمية لا تجوز إلَّا بنص.[١٨٦] وليس من المعقول أن يحول الزمخشري صفات الله - التى هى أخبارٌ عنه ، اختصَّ بها نفسه – إلى تجسيدها فى شخص رسوله الكريم ، فهذا وهم و تناقض .

- **الله هو المتسبب فى فعل السوء .**

---

[١٧٩] انظر : الكشَّاف ، ٤ : ٣١٥ - ٣١٧

[١٨٠] سورة آل عمران : ١١٠

[١٨١] انظر : إملاء ما منَّ به الرحمن ، للعكبري ، تصحيح و تعليق : الأستاذ : إبراهيم عطوة عوض ، (د . ط) دار الحديث ، ( د . ت ) ، ج١ : ١٤٥

[١٨٢] انظر : الكشاف ، ١ : ٣٦٦

[١٨٣] سورة الفتح : ١٠

[١٨٤] الكشاف ، ٤ : ٢٩١

[١٨٥] سورة النساء : ٨٠

[١٨٦] الفصل فى الملل و الـأهواء و النحل ، ٢ : ٣٤٧

**ممَّا وهم فيه الزمخشري : تقدير المسند إليه ( الفاعل للفعل ) :** من المعلوم أن الأصل فى الجملة أن يكون لها سلامة دلالية لا تخالف الأصول العقدية ، فلا يصح أن يوصف الله – تعالي – بالمضلِّ - تعالي الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – إلَّا أننا نجد الزمخشري قد أخضع آلية التقدير لمذهبه الاعتزالي ، وإن خالف الثابت من أصول العقيدة ، فقال معلقًا على قوله – تعالي : " يُضل به كثيرًا و يهدى به كثيرًا ".[١٨٧] يقول الزمخشري : " وإسناد الإضلال إلى الله – تعالي – إسناد الفعل إلى السبب ؛ لأنه لما ضرب المثل ، فضلَّ به قومٌ ، واهتدى به قومٌ ؛ تسبب لضلالهم وهداهم.[١٨٨] فهو من الإسناد المجازى إلى ملابس للفاعل الحقيقي.[١٨٩]

- **الله – تعالى – هو خالقُ أفعال عباده :**

أما العدل فقد بنوا عليه أن الله – تعالي – لم يشأْ جميع الكائنات ، ولا خلقها ، ولا هو قادر عليها كلِّها ، بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله – تعالي – لا خيرها ولا شرَّها ؛ إلَّا ما أمر به شرعًا ، وما سوى ذلك فإنه يكون بغير مشيئته .[١٩٠] ومن القضايا المهمة التي طرحها المعتزلة في هذا الأصل : مسألة القدر ، وهل الإنسان مخيَّر في أفعاله أم مُجبر ؟. فقالوا : بأن الله – تعالي – ليس له في أكساب العباد ، ولا الحيوانات صنيع ولا تقدير ، لا بإيجاب ولا بنفي ؛ وأن الإنسان يمتلك الاختيار ، وحرية الإرادة في أفعاله ؛ وذلك لأن القول بأن الإنسان مُجبر في أفعاله يستلزم – حسب رأيهم – نسبة الظلم إليه – تعالي عن ذلك علوًّا كبيرًا – فما كان الله – تعالي – ليُحاسب و يعاقب العبد على فعل شيء أجبره على فعله ".[١٩١]

على الرغم من ذلك فقد أشار الزمخشري إلى أن الله – تعالي – هو المتسبب فى بعض أفعال عباده ، مخالفًا بذلك مذهب الاعتزال ، الذى يُقرر أن أفعال العباد لم يخلقها الله – تعالي – لا خيرها ولا شرها ، يقول معلقًا على قوله – تعالي : " وربُّك يخلق ما يشاءُ و يختار".[١٩٢]: "(وما كان لهم الخيرة) بيان لقوله : (ويختار) . لأن معناه : ويختار ما يشاء ، ولهذا لم يدخل العاطف ، والمعني أن الخيرة لله – تعالي – فى أفعاله ، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ، وقيل : معناه : ويختار الذى لهم فيه الخيرة ، أى : يختار للعباد ما هو خيرٌ وأصلح ، وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم

---

[١٨٧] سورة البقرة : ٢٦
[١٨٨] الكشاف ١ : ١٢٤
[١٨٩] انظر : فتح القدير ، ١ : ٧٤
[١٩٠] انظر : فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة ، للقاضى عبد الجبار ، تحقيق : فؤاد سيد ، ط٢ ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٦م : ٣٤٨
[١٩١] انظر : الفرْق بين الفرَق : ٩٤ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل ٣ : ٩٨
[١٩٢] سورة القصص : ٦٨

من قولهم فى الأمرين : ليس فيهما خيرة لمختار ، فإن قلت : فأين الراجع من الصلة إلى الموصول ؛ إذا جعلت (ما) موصولة ؟.قلت : أصل الكلام : ما كان لهم فيه الخيرة ، فحذف(فيه).[١٩٣] ويبدو الزمخشري مترددًا فى هذا الأمر ، فتارة يجعل الفعل خالصًا لله – تعالي – وأخري يخص العبد بأفعاله [١٩٤] ، وثالثة يجعل الحسن لله – تعالي – والقبح للعبد ؛ مستثمرًا فى ذلك طبيعة اللغة و تعصبه لمذهب الاعتزال ، انظر إليه يستثمر الجذر المعجمى للفعل ( كسب) والفعل (أكسب) فى الانتصار لمذهبه ، كما فى قوله – تعالي : " لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت ".[١٩٥] فقال : " ينفعها ما كسبت من خير ، و يضرُّها ما اكتسبت من ضر ، لا يؤاخذ بذنبها غيرها ، ولا يُثاب غيرها بطاعتها ؛ فإن قلت : لم خصَّ الخير بالكسب ، و الشر بالاكتساب ؟ . قلت : فى الاكتساب اعتمال ، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس ، و هى منجذبة إليه ، و أمَّارة به كانت فى تحصله أعمل و أجد ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه ، و لما لم تكن كذلك فى باب الخير ؛ وُصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال.[١٩٦] ويزداد الزمخشري شططًا فى هذا الأمر حين يجزم لأن كل الأمور مردها إلى الله ، وأنه ليس لعباده شيءٌ ما الإرادة ومباشرة الأفعال ،كما فى قوله – تعالي : " إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كنْ فيكون ".[١٩٧] يقول : " إنما شأنه ؛ إذا دعاه داي حكمةٍ إلى تكوينه ولا صارف ، أن يكوّنه من غير توقُّف ، فيحدث ، أى : فهو كائنٌ موجود لا محالة .. وذلك من سبيل المجاز فى الكلام والتمثيل ؛ لأنه لا يمتنع عليه شيءٌ من المكونات وأنه - أى : الأمر- بمنزلة المأمور المطيع ؛إذا ورد عليه أمر المُطاع .. إنما أمره ، وهو القادر العالم لذاته ؛أن يخلِّص داعيه إلى الفعل فيتكوَّن ، فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الإعادة.[١٩٨]

- **<u>إنكار رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة :</u>**

فيما يخصُّ أصل التوحيد عند أهل الاعتزال ، أننا نجدهم ينفون رؤية الله - عزَّ وجلَّ - حيث أجمعت المعتزلة على أن الله لا يُرى بالأبصار ، لا في الدنيا ، ولا في الآخرة ، في مراعاة منهم البعد النفسى للمتلقى ، قالوا : لأن في إثبات الرؤية إثبات الجهة لله ، وهو منزه عن الجهة والمكان ، فأولوا الآيات الدالة على إثبات الرؤية ، كقوله تعالى: " وُجُوهٌ

---

[١٩٣] انظر : الكشاف ، ٣ : ٣٧٩

[١٩٤] كما فى قوله – تعالي : " فمن يُرد الله أن يهديه ". سورة الأنعام : ١٢٥. انظر: الكشاف ١: ٦٥٦

[١٩٥] سورة البقرة : ٢٨٦

[١٩٦] انظر : الكشَّاف ، ١ : ٣٠٨

[١٩٧] سورة يس : ٨٢

[١٩٨] انظر : الكشاف ، ٤ : ٣٠

يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ".[١٩٩] أي منتظرة. بأن النظر إلى الله – تعالى- لا يصح ؛ لأن النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء ؛ طلبًا لرؤيته ، وذلك لا يصح إلا في الأجسام ، فيجب أن يتأوَّل على ما يصح النظر إليه ، وهو الثواب .[٢٠٠] بذلك عقد الزمخشري مقابلة بين استحالة الرؤية للأبصار ، وتلك الوجوه العابسة الكالحة ، التي تتوقع أن تَحل بها داهية عظمي ، تقصم فقار الظهر ، وتلك التي جسدها قوله – تعالي : " وجوه يومئذٍ باسرة تظن أن يُفعل بها فاقرة ".[٢٠١] ومحل المقابلة بين الصيغة الفعلية (تظن) الدال على التوقع ، وبين الصيغة الاسمية المشتقة (ناظرة) الدالة على التوقع والانتظار".[٢٠٢] مُدخلًا – بذلك - أبعاد الذات المتلقية وخلفياتها في فهم النص القرآني .
وإذ نستدعي نصوص الكشاف ، نلفِ الزمخشري متعمقًا في التراكيب القرآنية ؛ لكن نظرته وفق اعتقاده المعتزلي ؛ فقد جوَّز حذف مفعول أرنى ، من قوله – تعالي : " أرنى أنظر إليك ".[٢٠٣] ، أى : أرنى نفسك أنظرْ إليك . ويستعمل لفظ الرؤية على سبيل المجاز ، حيث إنها لا تشير إلى الرؤية البصرية ، وإنما اجعلني متمكنًا من رؤيتك ؛ بأن تتجلى لى ، فأنظر إليك وأراك . فهو يقرر أن الرؤية – في هذا الموضع – بمعني الإدراك والتيقن . ويحمل قوله – تعالي : " لن تراني".[٢٠٤] على أنه تبكيت لقوم موسى – عليه السلام – المعاندين له ، وينبههم إلى خطئهم .
ثم يتعمق في الكشف عن معاني الحروف ، فينقل السيوطى عنه أنه حمل (لن) فى قوله – تعالي : " لن تراني ".[٢٠٥] على أنها تُفيد تأبيد النفي ، قال الزمخشري: " فقولك : لن أفعلَه . كقولك : لا أفعله أبدًا . وذهب إلى أن الله – تعالي – لا يُري ، وهو قبيح وباطل ، وقد ردَّ السيوطى بأنها لو كانت للتأبيد ما قُيِّدت باليوم فى قوله – تعالي : " فلن أكلِّم اليوم أنسيًّا ".[٢٠٦] وليس فى الأنموذج ما نقله السيوطي ، إنما فيه : (لن) نظيره (لا) فى نفى

[١٩٩] سورة القيامة : ٢٢ - ٢٣
[٢٠٠] المفسرون بين التأويل و الإثبات في آيات الصفات ، تأليف : محمد بن عبد الرحمن المغراوي ، ط١ ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٥هـ ، : ٢ : ٧٢٧
[٢٠١] سورة القيامـــة : ٢٤
[٢٠٢] الكشاف ٤ : ٥٦٦- ٥٦٧
[٢٠٣] سورة الأعراف : ١٤٣
[٢٠٤] سورة الأعراف : ١٤٣
[٢٠٥] سورة الأعراف : ١٤٣
[٢٠٦] سورة مريم : ٢٦

المستقبل ولكن على التأكيد ".[٢٠٧] جاء فى الكشَّاف فى قوله – تعالي : " لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له ".[٢٠٨] (لن) أخت (لا) فى نفى المستقبل ، إلَّا أن (لن) تنفيه نفيًا مؤكَّدًا ، وتأكيده – ها هنا – للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل منافٍ لأحوالهم ، كأنه قيل : محالٌ أن يخلقوا.[٢٠٩] وحمله الاعتزال على الإقرار بأن النظر مُغاير للرؤية ، وأن البصر هو : الجوهر اللطيف الذى ركبه الله فى حاسة النظر ، وبه تُدرك المبصرات.[٢١٠] وأنه – تعالي – محجوب عن الرؤية ، وأن الرؤية – هنا – مؤولة بالإدراك ؛ وذلك لتعالى الله – سبحانه – عن الرؤية ، وأن رؤية العبد لخالقه إنما تتمثل في إدراك بعض الحواس ، وأن الله – تعالي – لا حيز له ، ولا جسد له ، ولا عرض؛ فمحال أن يكون في جهة ؛ ثم يستنكر على الجبرية الإقرار بشبهة إمكانية رؤية الله – تعالي – واستدل على ذلك بأن قوم موسى أصروا على مطلبهم ، وأنهم - لابد – مصرون على رؤيته ؛ فأراد – تعالي – أن يبكتهم ويتبرأ من فعلهم ، وليُلْقِمْهم الحجر، فأراد موسي أن يسمعهم النص من عند الله – تعالي – باستحالة ذلك، وهو قوله:" لن ترانى ". ليتيقنوا، وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة .[٢١١]

وعُرف عن الزمخشري استثماره للقراءات التي تخدم معتقده ، لذا حمل الرؤية بمعنى الإدراك ، فى قوله – تعالي : " فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسي إنا لمدركون ".[٢١٢] فقرر أن الفعل رأى – هنا – بمعنى لحق ، وأُتبع ، وقد تنكر الزمخشري لقراءة العامة ، واحتفى بتلك القراءة التي تجسد اعتزاله ، وهى قرارة تشديد الدال وكسر الراء من قوله : (لمدَّركون) من : ادَّرك الشيء إذا تتابع ، ففنى ، ومنه قوله – تعالي : " بل ادَّارك علمه فى الآخرة ".[٢١٣] والمعنى : إننا لمتتابعون فى الهلاك على أيديهم ، حتى لا يبقى منا أحد.[٢١٤] وليس من شك فى أن الزمخشري بصنيعه هذا يقدم القراءة التي تعضد مذهبه ، وليس من باب العفوية . ويستطرد الزمخشري في نفي الرؤية عن الله – تعالي – انطلاقًا من العلاقة بين السبب والمسبب ، فقد نفي عنه – سبحانه – التجسيم والجهة

---

[٢٠٧] انظر : الأنموذج فى النحو ، لجار الله الزمخشري ، ط١ ، مطبعة المدارس الملكية ، ١٣٨٩هـ : ١٧ ، وانظر : همع الهوامع بشرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، تحقيق : د : عبد الحميد هنداوى ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ( د . ت ) . ٢ : ٤

[٢٠٨] سورة الحج : ٧٣

[٢٠٩] الكشاف ، ٣ : ١٥٢

[٢١٠] انظر : الكشاف ، ٢ : ٣٨٠

[٢١١] الكشاف ٢ : ٦٠ - ٦١

[٢١٢] سورة الشعراء : ٦١

[٢١٣] سورة النمل : ٦٦

[٢١٤] انظر : الكشَّاف ، ٣ : ٢٧٨

والمشابهة ، وأول آيات الرؤية بمعني : العلم ، وقد أول النظر بأن معناه : الرجاء ، والتوقع للنعمة ، والكرامة ، بناء على نفي الجهة عنه – سبحانه – لأن المرئي يجب أن يكون في جهة من الرائي ، وما دامت الجهة مستحيلة ، فالرؤية مستحيلة . بل إن الزمخشري ليؤول آيات البصر بمعاني تخالف الرؤية ، وهي معانى تدور حول المعرفة والإدراك والحس ؛ والبصر : هو الجوهر اللطيف الذى ركَّبه الله في حاسة النظر ؛ به تُدرك المبصرات ، وهو – سبحانه – لا تتعلق به الأبصار ، ولا تدركه ؛ لأنه متعلٍ أن يكون مبصَرًا في ذاته ، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة اصلًا ، أو تابعًا كالأجسام و الهيئات ، فهو – سبحانه – يدركها ولا تدركه .[٢١٥] وقد أشارت الأداة ( لن) إلى أن رؤية موسى – عليه السلام - لربه محال ؛ لأنه زُجر عمَّا طلب ، وأُنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله – تعالي – وقيل له : لن يكون ذلك ؛ فكان غيره أولى بالإنكار ، ولأن الرسول إمام أمته ؛ فكان ما يُخاطب به أو ما يخاطِب راجعًا إليهم ، وقوله : (أنظرْ إليك). وما فيه من معني المقابلة ، التي هى محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمةٌ عن مقترحهم ، وحكاية لقولهم ، وجلّ صاحب الجبل أن يجعل الجبل منظورًا إليه مقابلًا بحاسة النظر، فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله – تعالي – من واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، والنظَّام ، وأبى الهذيل ، والشيخى ، وجميع المتكلمين ؟ ".[٢١٦]

ويشتد إنكار الزمخشري للرؤية بأن يحمل الألفاظ على معاني تناسب اعتقاده ، وإخراج اللفظ من حقيقته إلى المجاز و إن خالفت نصوصًا ثابتة ؛ وقد حمله ذلك على التغيير في الترتيب الوجودى للتراكيب ، تمثل ذلك في قوله – تعالي : " وجوة يومئذ ناضرةٌ إلى ربها ناظرةٌ ".[٢١٧] فقد رأى أن قوله : (إلى ربها) في موضع المفعول المقدم ، والوجه : عبارة عن الجملة ، والناضرة : من نضرة النعيم ، والتقدير : ناظرة إلى ربها ، تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره ، وهذا معنى تقديم المفعول ، وأن ذلك التقديم للتخصيص ، فإن قلت : كيف دل فيها التقديم على معني الاختصاص ؟. قلت : معلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ، ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ؛ فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم ؛ لأنهم الآمنون ، الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون . فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورًا إليه محالٌ ؛ فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ، والذى يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى . تريد معنى التوقع والرجاء ، ومنه قول القائل :

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما .

---

[٢١٥] انظر : الكشاف ١ : ٦٤٩ ـ ٦٥٠

[٢١٦] الكشاف ٢ : ٦١

[٢١٧] سورة القيامة : ٢٢ـ ٢٣

وقد سُمعت سرويَّةٌ مستجديةٌ بمكة وقت الظهر ؛ حين يغلق الناس أبوابهم ، يأوون إلى مقايلهم ، تقول : عيينتى نويْظرة إلى الله وإليكم . والمعنى : أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا ، لا يخشون ولا يرجون إلا إياه .[٢١٨]

- **إن الله – تعالى – لم يُكلِّمْ نبيه موسى – عليه السلام :**

نفي الزمخشري وقوع الكلام من الله - تعالى - وأوَّل قولَه- تعالى:" وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ".[٢١٩] فقد جعل الآية السابقة مما استشهد به على تقدم المفعول وتأخر الفاعل ، ليوافق الاعتزال، حيث ينفي صفة الكلام عن الله - تعالى - من باب التوحيد ، وهو عند غير أهل الاعتزال : أن لفظ الجلالة فاعل ، فالكلام واقع منه - تعالى - وتكليمًا مصدر مؤكِّد ؛ مما ينفي وقوع المجاز . فكلام الله تعالى لموسى - عليه السلام – حقيقى ؛ بحرف وصوت سمعه موسى ، ولهذا جرت بينهما محاورة . وقد أكَّد الخطاب القرآني الفعل بالمصدر ، فنفي التوكيد وقوع المجاز ، فحمل الزمخشري التركيب على سبيل التأويل أو المجاز ، ليوافق أصل التوحيد عند أهل الاعتزال ، وأنه ليس لله - تعالى - من صفات كالبشر ، فموسى - عليه السلام - هو من كلَّم الله - تعالى - فجعل لفظ الجلالة منصوبًا على أنه مفعول ، ورفع موسى على أنه فاعل ، أو أن يبقى لفظ الجلالة مرفوعًا ، وموسى- عليه السلام - منصوبًا ، ويحمل الفعل (كلَّم) على سبيل المجاز، وهو من الكلم : أى الجرح ، بمعنى : أن الله - تعالى - جرح موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن.[٢٢٠] وقد عاب الزمخشري الحمل الأخير، وعدَّه من بدع التفاسير .[٢٢١] وفي القول بنصب لفظ الجلالة (الله) على أنه مفعول به مقدم نفي لمضمون الخبر ، وتحويل الدلالة .

ولعل في القول بنصب لفظ الجلالة إضافة دلالية ، ورفع موسى على أنه فاعل مما يتطلبه موقف الخطاب ، ولا يعد خرقًا للترتيب المنطقى للتركيب عنده ، فهو مريد لهذا الوجه من التأويل ، مطابقة لما يقتضيه حال المخاطب ، فهذا التوجيه للقراءة ؛ يواجِه به تلهف النفس لمعرفة صفات خالقها ، " لأن الذهن يسابق إلى فهم معنى الكلام ، من غير توقف ، مجرد سماعه أول وهلة ، لعدم التعقيد في النظم، وخلوه من أسباب اللبس، من التقديم والتأخير، وسلوك الطريق الأبعد، وإيقاع المشترك ".[٢٢٢] وتتمثل إضافة الزمخشري بأن التقديم ، في هذا الموضع ، ليس عملًا اعتباطيًّا، ولا تصرفًا دون وعى، إنما هو لغرض بلاغى ، وهو انتصار لمذهبه ، ليستفز المتلقي ، ليسلم بخلو مذهبه من

---

[٢١٨] الكشاف ٤ : ٥٦٥ ـ ٥٦٦

[٢١٩] سورة النساء : ١٦٤

[٢٢٠] الكشاف ، ١ : ٥٢٦

[٢٢١] الكشاف ١ : ٥٢٦

[٢٢٢] بديع القرآن، لابن أبي الإصبع ، تحقيق : حفني محمد شرف ، ط١ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م : ٢١٠

شوائب التأويل والتناقض . فى مراعاة منه لما يقتضيه حال المخاطب ، فلا يصيبه العجب ، إنما تمتلكه هزة الاقتناع ، ولعله في ذلك متابعٌ لما قال به عبد القاهر الجرجانى ، من أن باب التقديم : باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ،لا يزال يكشف لك عن بديعة ، ويفضى بك إلى لطيفة.[٢٢٣] وقد دلَّ النصب على أن الكلام واقع من الفاعل ، وهو موسى – عليه السلام .

- **جميع الأفعال المسندة إلى الله – تعالى- تكون على سبيل المجاز :**

من ذلك تأوله لإسناد الفعل (جاء) فى قوله – تعالي: " و جاء ربُّك ".([٢٢٤]) يقول : فإن قلتَ : ما معنى إسناد المجيء إلى الله والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان له جهة؟. قلتُ : هو تمثيل لظهور آيات اقتداره ، وتبيُّن آثار قهره وسلطانه ؛ مُثِّلت حاله فى ذلك بحال الملك ؛ إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة مالا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم.[٢٢٥] جاء فى الكشَّاف فى قوله – تعالي : " قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ".[٢٢٦] فقد حمل الزمخشري قوله :" قد سمع ". على أنه من باب المجاز ، وأن القعل سمع لا يُفيد التقرير ، إنما يُفيد الاحتمالية ، يقول : فإن قلت : ما معنى (قد) فى قوله : (قد سمع) ؟. قلتُ : معناه التوقع ؛ لأن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – والمجادِلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها ، وينزل فى ذلك ما يفرّج عنها .[٢٢٧]

- **أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم- لم يُحسن التحدث مع الأعمي :**

فى معرض قوله – تعالي : " عبسى و تولى أن جاءه الأعمي و ما يدريك لعله يزكي ".([٢٢٨]) يذكر الزمخشري أن فى الآيات السالفة الذكر التفاتًا من الغيبة إلى الخطاب ؛ إشعارًا بأن المؤلف يُقبل – وهو الله – تعالي - على المتلقي – وهو رسوله – صلى الله عليه و سلم-معلنًا له اللوم و الإنكار و التوبيخ ؛ يقول : " و فى الإخبار عما فرط منه ، ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار ، كمن يشكو إلى الناس جانيًا جنى عليه ، ثم يقبل على الجاني ؛ إذا حمى فى الشكاية ؛ مواجهًا له بالتوبيخ و إلزام الحجة ، وفى ذكر الأعمي نحو من ذلك ؛ كأن يقول : قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمي ،

---

[٢٢٣] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق : محمد شاكر ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٩م : ٨٣

[٢٢٤] سورة الفجر : ٢٢

[٢٢٥] الكشاف ، ٤ : ٦٤٤ ، و انظره : الآية رقم (٢١٠) من سورة البقرة فى الكشاف ، ١ : ٢٤٣

[٢٢٦] سورة المجادلة : ١

[٢٢٧] انظر : الكشاف ، ٤ : ٤١٤

[٢٢٨] سورة عبس : ١ - ٣

و كان يجب أن يزيده – لعماه – تعطفًا و ترؤفًا و تقريبًا و ترجيبًا ".[٢٢٩]

**الخاتمـــة**

- بدت عناية الزمخشري بالمعاني ، ولعل مرد ذلك أن فهم المعاني عليه مناط الإعجاز في التركيب ، وبه تتحقق الدلالة ، وتبين الحجة القوية .
- إن فهم النص القرآني الذى قدَّمه الزمخشري ليس مشروعًا بلاغيًّا فحسب ، إنما هو مشروع يقوم على الفكر ، وعلي أبعاد علم الكلام والانتصار لمذهب الاعتزال . وقد بدا هذا جليًّا في كشَّافه ، ولاسيما ما يتعلق بالمسائل الخلافية ، وأثر ذلك على التوجيهات البلاغية والنحوية .
- لم يبعد الزمخشري فى تفسيره للآيات عن طبيعة اللغة ، وما تحتمله من أوجه ، أما المخالفة فتكون فى مجال الاعتقاد .وقد ينحرف عن الأصول اللغوية فى سبيل الحفاظ على معتقده .
- تأوَّل الزمخشري الآيات التي صادمت مذهبه، وعدَّها من أبواب المجاز أو التمثيل.
- جاء فهم الزمخشري للآيات بين النقيضين؛ الفهم المنضبط ، والوهم البعيد عن المنطق.

**أهم التوصيـــات :**

- دراسة أثر الاعتزال على نظرية العوامل النحوية .
- دراسة التراكيب النحوية التي قبلها الزمخشري خضوعًا لمذهب الاعتزال .
- دراسة أثر فكر الاعتزال فى تطورعلم المعاني والقدرة التفسيرية عند الزمخشري.
- دراسة أثر فكر الاعتزال فى المسائل الفقهية لدى المعتزلة . وخاصة الزمخشري .

وأخيرًا : فإني لأرجو الله - تعالى - أن يمُنَّ عليَّ بنعمة الإخلاص في القول والعمل ، وأن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم ، ينتفع به أبناء العربية، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

[٢٢٩] الكشاف ٤ : ٥٩٩ - ٦٠٠

**ثبت المصادر و المراجع:**

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، للمقدسي ، ( د . ط ) ، مطبعة بريل ، ١٩٠٩م .
أساس البلاغة ، للزمخشرى ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ( د . ت ) . و مكتبة الشعب ، مصر ، ( د . ت ) . ٢: ٢٨٤ ، مادة : ( نظم ) .
الألسنية التوليدية و التحويلية ( النظرية الألسنية ) ، تأليف : ميشال زكريا ، ( د . ط ) ، المؤسسة الجامعة للدراسات و النشر ، بيروت ، ١٩٨٨م .أمالى المرتضى
إملاء ما منَّ به الرحمن ، للعكبري ، تصحيح و تعليق : الأستاذ : إبراهيم عطوة عوض ، (د . ط) دار الحديث ، ( د . ت ) .
الأنموذج فى النحو ، لجار الله الزمخشري ، ط١ ، مطبعة المدارس الملكية ، ١٣٨٩هـ .
البحر المحيط ،لأبي حيان الأندلسي ، دراسة و تحقيق و تعليق : عادل أحمد عبد الموجود و آخرين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م .
بدائع الفوائد ، لابن قيّم الجوزية ، تحقيق : صلاح الدين محمود السعيد ، دار البيان العربى ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
بديع القرآن، لابن أبي الإصبع ، تحقيق : حفني محمد شرف ، ط١ ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات البلاغية، د: محمد حسين أبو موسي ، (د . ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
البلاغة تطور و تاريخ ، د : شوقى ضيف ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٩م.
البني النحوية ، تأليف : نعوم تشومسكى ، ترجمة ، د : يؤيل يوسف عزيز ، مراجعة : مجيد الماشطة ، ط١ ، دار الشروق الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٧م .
البيان فى روائع غريب القرآن ، د : تمام حسان ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
تأويل القرآن عند المعتزلة من خلال تفسير الكشاف للزمخشري ، إعداد الطالب : خالد سوماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجزائر ، (د . ت) : ٦ نسخة pdf
التحليل اللغوى للنصوص ، ، كلاوس برينكر ، ترجمة ، د : سعيد حسن بحيري ، ط٤ ، مؤسسة المختار ، ، القاهرة ، ( د . ت ) .
التفسير والمفسرون ، د: محمد حسين الذهبي،(د .ط)، دار الكتب الحديثة، بيروت، ١٩٧٦م .
التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز
جواهر البلاغة فى المعاني والبيان والبديع ، تأليف : السيد أحمد الهاشمى ، ضبط و تدقيق وتوثيق د : يوسف الصميلى، ط١ ، الكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،(د . ت ).

الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري ، د : فاضل صالح السامرائي ، ( د . ط ) ، دار النذير ، و مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .
دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق : محمد شاكر ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٩م .
دلالة الألفاظ ، د : إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
الزمخشري ( لغويًّا و مفسِّرًا) للشيرازي
شرح الأصول الخمسة ، لقاضى القضاة ، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ، تحقيق : عبد الكريم عثمان ، ط١ ، مطبعة وهبة ، ١٩٦٥م .
ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوي ، د : طاهر سليمان حمودة ، ( د . ط ) ، الدار الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٩٨م .
علم الكلام ومدارسه ، د: فيصل عون، ط١، الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
علم اللغة نشأته و تطوره ، تأليف ، د : محمود جاد الرب ، ( د . ط ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
فتح القدير ، للشوكانى ، ط٢ ، مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م .
الفرق بين الفرق ، للإمام عبد القاهر بن طاهر الإسفراييني ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، ( د . ط ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ( د . ت ) .
الفصل فى الملل و الأهواء و النحل ، لابن حزم الأندلسى الظاهري ،تحقيق : محمد إبراهيم نصر ، وعبد الرحمن عميرة ، (ط١) ، دار الجيل ، بيروت ، ( د . ت ) .
فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة ، للقاضى عبد الجبار ، تحقيق : فؤاد سيد ، ط٢ ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٦م .
الكشاف ، لجار الله الزمخشري ، شرح و ضبط و مراجعة : يوسف الحمادي ، (ط١) مكتبة مصر ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .
مجمع البيان فى تفسير القرآن ، للطبرسي ، ط١ ، دار العلوم للتحقيق ، بغداد ، ٢٠٠٥م
مدخل إلى علم البلاغة ، بحث بشبكة المعلومات { ahlamontada.net }
المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، د : رمضان عبد التواب ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
مدخل إلى علم لغة النص ، تطبيقات لنظرية روبرت دى بوجراند وولفجانج دريسلر ، تأليف : د : إلهام أبو غزالة ، و على محمد خليل ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .
المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري ( في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير) (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ) ( عرض و نقد ) ، تأليف : صالح بن غرم الله الغامدى ، (ط ١) ، دار الأندلس للنشر ، حائل ، المملكة العربية السعودية ،

١٤١٨هـ .
المغني في أبواب التوحيد و العدل ، لقاضى القضاة ، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ، ط١ ، دار الثقافة و الإرشاد ، ١٣٨٠هـ / ١٩٨٧م .
المفسرون بين التأويل و الإثبات في آيات الصفات ، تأليف : محمد بن عبد الرحمن المغراوي ، ط١ ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٥هـ .
مفهوم العقل فى الفكر الفلسفى ، د : إبراهيم مصطفى إبراهيم ، (د . ط) دار النهضة للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٣م .
مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين ، للإمام الأشعري ، (ت ٣٢٤ هـ ) ، تصحيح : هلموت ريتر ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، و كذلك : ط ٢ ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ .
مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د : على عبد الواحد وافى ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤هـ ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م.
من المدارس الألسنية (المدرسة التوليدية التحويلية ، د : إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان ، نسخة PDF .
منهج الزمخشري فى تفسير القرآن و بيان إعجازه ، مصطفى الصاوى الجوينى ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ( د . ت ) .
النحو العربي والدرس الحديث ، تأليف ، د: عبده الراجحي ، (د . ط)، بيروت ، ١٩٨٦م
النص و الخطاب و الإجراء ، {روبرت دى بوجراند ، ترجمة د : تمام حسَّان ، ط ١ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٤١٨هـ \ ١٩٩٨م .
نظرية النحو فى مناهج النظر اللغوي الحديث ، تأليف : نهاد الموسى ، ( د . ط ) ، بيروت ، ١٩٨٠م .
نظرية تشومسكي اللغوية ، جون لوينز ، تعريب : حلمى خليل ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
همع الهوامع بشرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، تحقيق : د : عبد الحميد هنداوى ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ( د . ت ) .